ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܓܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܡܝܐ ܕܢܗܘܐ ܢܦܠ ܐܘ
ܠܗܠ ܠܗ ܫܪܝܐ ܠܐ ܢܗܘܐ ܗܘܐ ܠܗ ܫܪܝܐ ܒܗܠ
ܠܡܫܬܡܗ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة

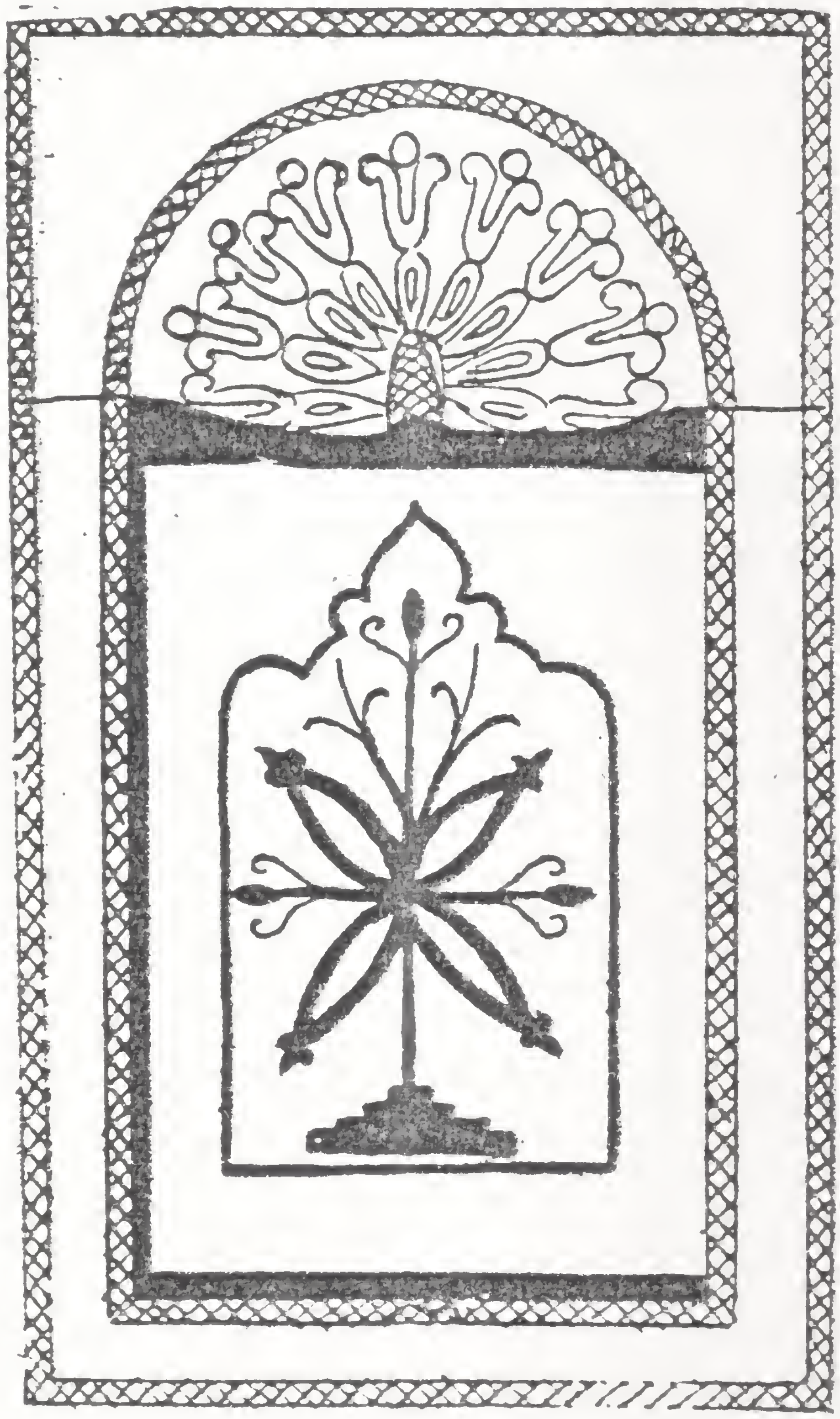

للدكتور

القس يوسف حبي

طبع فى المطبعة العصرية - الموصل

ليطبع

+ المطران عمانوئيل ددي

رئيس اساقفة الكلدان على الموصل وتوابعها

١٥ أيار ١٩٦٩

صورة الغلاف :

تخطيط للحنية الثانية في كنيسة الطاهرة

الدير الأعلى كنيسة الطاهرة

[illegible]

الدكتور [illegible]

[illegible]

الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة

نبذة تاريخيـــة

الدكتور القس يوسف حبي

الموصـــل
١٩٦٩

المطبعة العصرية - الموصل ☎ ٣٦٢٨

توطئـــــة

قل من يجهل كنيسة مريم العذراء الطاهرة ، المعروفة باسم « الطاهرة التحتانية »، والواقعة بالقرب من باشطابية وعين كبريت في الشمال الشرقي من مدينة الموصل . فهي كنيسة شهيرة نظراً لما لها من أهمية تاريخية وأثرية ولتعدد مظاهر الاكرام ووفرة شعائر العبادة التي يبديها السكان مخصين بها صاحبة هذا المزار العجائبي ، فيقصدونها من القريب والبعيد ، من الموصل واطرافها والمدن الاخرى أيضاً ، على اختلاف اعمارهم وطبقاتهم ومللهم ونحلهم ، سائلين وضارعين ومتبركين ، لأن كنيسة الطاهرة مزار مريمي ، شهير، أثري ، عظيم .

يرد ذكر هذه الكنيسة في كتابات الاقدمين ، ومذكرات الرحالة ، وقصتها على ألسن الجميع ، لا سيما وان اخبار الشفاعات والمعجزات التي منت بها العذراء القديسة ولا تزال تسكبها على قاصديها ، لن يحصيها أحد لكثرتها وتنوعها ، حتى انـــه لا يكاد يخلو بيت في الموصل وضواحيها ، بل وفي غيرها من المدن ، من حادثة نعمة أو عجيبة صنعتها العذراء مع أحد أفراد العائلة . فمريم العذراء الطاهرة هي أم الرحمة والمعونة الدائمة ، انها أم رؤوم للجميع .

ساحاول في هذه النبذة الموجزة ذكر كل ما يتصل بالكنيسة المذكورة من الوجهة التاريخية خاصة ، مما وقفت عليه في ابحاثي الطويلة في كتب الاقدمين وآثار الكنيسة نفسها . وليكن هذا الجهد البسيط تعبيراً عن بعض ما يكنه قلبي لأمي العذراء ، ولزيادة العبادة لها والتعريف بمزارها العجيب .

ي . ح .

الموصل : ١٩٦٩/٢/٢

التقليد والتاريخ

لدى الشروع بالبحث عن تاريخ كنيسة « الطهرة » ، نصطدم بعقبة كثيراً ما يلاقيها المهتمون بدراسة آثارنا المسيحية القديمة ، هي ضحالة الموارد الاصلية وغزارة المتداولة التي تم تسجيل قسم لا بأس به منها حتى غدت بمثابة حقائق موثوق بها يصعب تفنيدها دون المساس بشعور عامة الناس . وتاريخ كنيسة الطهرة هو على هذه الشاكلة .

فالتقليد المتداول يعتبر الكنيسة المذكورة جزءاً من الكنيسة الاصلية للدير الاعلى، دير مار كبرييل ، أو لربما نصفها فقط على اعتبار انها كانت أوسع بكثير ولا سيما طولاً . ولما كان هذا الدير يعود الى ما قبل الجيل السابع ، فالكنيسة أيضاً قديمة جداً . ويبرهنون على قولهم بكثير من الادلة ، منها هندسة الكنيسة الحالية ، وبعض آثارها الطقسية ونقوشها الفنية القديمة ، وموقعها من أرض الدير المذكور ، واكتشاف نفق يصل ما بين الكنيسة والدير . . .

كما ان القضايا التي اثيرت لأكثر من ثلاثين سنة خلت ، واستمرت عشر سنوات

ونيف، منذ سنة ١٩٣٠ وحتى سنة ١٩٤١ ، بالرغم من تشعباتها واختلافاتها ، قد دارت كلها حول اراضي الدير الاعلى وكنيسة الطهرة ، وافتراض وجود علاقة قائمة بينهما أو الشك في صحتها .

ان البلدية بفتحها أو توسيعها بعض الطرق والشوارع في المنطقة ، استقطعت قسماً من أراضي الكنيسة والدير . ولدى تحديد أرض عزيزة خاتون بنت سليمان بك نازع موكلها جمال الدين افندي المفتي موكل وقف الكلدان حول العرصة تسلسل ٤٠٥ ، أي الارض التي تمتد أمام كنيسة الطهرة من الشمال الشرقي والجنوب الشرقي والمعروفة بأرض الكنيسة . ولم يجر نزاع حول العرصة تسلسل ٤٠٦ أو أرض مار كبرييل لأن وقف البطريركية الكلدانية قدم البيانات على عائديتها له . غير ان مديرية الآثار العراقية العامة استملكتها مؤخراً لاجراء الحفريات فيها واعتبارها منطقة أثرية . وان نزاعاً قديماً وطويلاً جداً قام حول العرصة تسلسل ٤٠٧ والمعروفة بأرض خربات الدير ، بين وزارة المالية وموكلها المحامي نوئيل رسام ومديرية الآثار العامة من جهة ، وبين البطريركية الكلدانية وموكلها المحامي نجيب آدمو من الجهة الاخرى . وفي كل من هذه القضايا كانت تنجلي أكثر فأكثر الصلة القائمة بين الدير الاعلى أو دير مار كبرييل وكنيسة العذراء مريم المعروفة بالطهرة .

مجمل الاعتراضات التي قدمها مدير الآثار العامة في ٢٠ أيار ١٩٣٦ هي ان قيود الطابو العائدة الى باشطابية لا تذكر ديراً متصلاً بها ، والخبراء الذين رافقوا لجنة الكشف قالوا ان العرصة المنازع عليها هي من متممات حرم باشطابية ، وباشطابية من بقايا سور الموصل القديم ، أي انها عائدة الى مديرية الآثار . والادلة التاريخية نفسها لا تعين موقع الدير بالضبط ، بل سرعان ما يتوجه الذهن الى تحديد موقعه خارج المدينة

أكثر مما في داخلها ، والى‌شمال باشطابية أكثر مما الى‌جنوبها ، أي الى الرابية الكائنة فوق عين الكبريت . فخرائب الدير ليست موجودة الآن ، اذ انه قد اندرس منذ عدة قرون .

كان رد البطريركية الكلدانية بان السند الخاقاني الذي بيدهم عن الارض المنازع عليها ينص صريحاً على ان أحد حدودها هي خربات دير كبرييل ، وان حريم السور يفصل مابين باشطابية والدير باعتباره طريقاً . ومن الطبيعي ان لا يرى الخبراء اثراً للدير لأنه قد اندرس منذ زمان سحيق ، وان الكشف عن بعض جدرانه القديمة ومقارنتها بنيان باشطابية لن يأتي باثبات ما لأن ابنية الموصل كلها متشابهة وموادها الانشائية هي عينها دائماً . ولا بد ان تكون أسس الدير أيضاً ضخمة ، فهي شبيهة باسس سور الموصل ، ومهما يكن من أمر فان الاشخاص الذين قاموا بالكشف لم يكونوا متمتعين بالخبرة التي تؤهلهم ان يجزموا في الامر . وثمة الوف الشهود يقرون بان الطائفة الكلدانية قد استعملت البقعة المتنازعة كملك خاص بها ، فاخذت من انقاضها لتعمير أبنية الوقف . وان كثيراً من الاهالي يقومون بشعائر عبادة في المكان على انه معبد للقديس شفيع الدير .

اما الادلة التاريخية فتشهد بوضوح على انه كان بالموصل دير قديم باسم الدير الاعلى أو دير مار كبرييل أو كوريال ، بل وهي تعين موقعه بالضبط . وقد استند الاشخاص الذين أعدوا العريضة يومذاك ، وهم المطران يوسف غنيمة والقس اسطيفان كجو والقس سليمان الصائغ والمحامي نجيب آدمو ، الى شهادات ايشوعدناح مطران البصرة ومؤلف كتاب العفة ، وياقوت الحموي في معجم البلدن ، والمقدسي ، وفضل الله العمري ، والشابشتي ، وابن خليكان ، والشاعر عبد الجمال حسن بن عبد الباقي أبي بكر والشاعر برهان ايجابي . ولم يغفلوا عن ذكر قبور بعض الاشخاص المسيحيين المدفونين في‌الارض على انها أرض الدير والكنيسة ، ذاكرين أيضاً شهادة ياسين افندي بن خيرالله العمري

واخيه أمين أفندي العمري القائلة بان كنيسة الطهرة كانت أوسع بكثير مما هي عليه الان بل ومتصلة بالدير [1] .

كل هذه الادلة والحجج مع كافة التفنيدات والشهادات المذكورة تثبت بان الارض المنازع عليها كانت ولم تزل تحت تصرف ملة الكلدان ، بل هي وقف البطريركية الكلدانية ، لأنها أرض الدير الاعلى القديم والمندرس ، ومن متممات كنيسة الطهرة أو مريم العذراء (مريمانا) ، فقد اعتبر الكلدان هذا المكان دوماً معبداً ومدفناً ، ولم ينازعهم في ذلك احد .

ونترك التاريخ التقليدي لنتوقف لدى الحقائق التاريخية الثابتة عن الدير الاعلى أولاً وعن كنيسة الطهرة ثانيا ، وهي بالرغم من كثرتها لا تزال ناقصة لا تفي جميع اجوبتنا حقها .

(١) ـ هو موجز للدعاوي واوراق الخلاف التي بيدنا ، نقلاً عن نسخها المحفوظة في خزانة مطرانية الكلدان في الموصل ، وهي مجموعة في سجل خاص تحت عنوان « كنيسة الطهرة » .

الدير الاعلى في التاريخ

تأسيسه

يستقى من معظم المصادر التاريخية ان موقع الدير هو في الشمال الشرقي من مدينة الموصل ، داخل الاسوار المندرسة ، ملاصقاً للقلعة العليا أو باشطابية (٢) . وهو معروف باسم الدير الاعلى ، أو دير الاعلى ، أو دير مار كبرييل أو كوريال ومار ابراهام . وكبرييل هذا أو جبرائيل هو شخص مجهول الهوية ، فهو غير كبرييل الكشكري ، ولعله شهيد عاش ما بين الجيل الرابع والسادس . ومنذ عهد مار طيمثاوس الجاثليق (٧٨٠ ــ ٨٢٣) عرف الدير أيضاً باسم مار ابراهام ، وذلك لانتقال مار ابراهام برد شنداد استاذ طيمثاوس في باشوش الى مدرسة الدير الاعلى(٣) . والطريق التي

(٢) ـ باشطابية كلمة تركية مكونة من « باش » ومعناها العالية و « طابية » ومعناها القلعة . اما عن موقع الدير فانظر : الشابشتي ، الديارات ، طبعة كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥١ ص ١١٢ .

(٣) ـ انه الرأي الاصوب ، وهو ضد ما قاله نصري وريكر والصائغ وغيرهم ، آخذين عن ايشوعدناح والسمعاني ، فان الاب جان فيي محق في عدم امكانية نسب الدير الى مار كبرييل الكشكري . راجع عن هذا كله :
J. FIEY., Mossoul Chr'etienne, Beyrouth 1959, P. 127-128;
اخبار نطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متي ، رومية ١٨٩٦ ص ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ؛ أبو

كانت توصل الدير بالمدينة عرفت لدى الأقدمين بدرب الدير الأعلى (٤) ، وكان هذا الدير بعيداً نسبياً عن مركز المدينة وعن عماراتها وبيوت السكنى ، بل وان الابنية لم تنتشر في منطقته إلا منذ سنوات معدودة .

لا شك ان الدير كان عامراً عام ٦٥٠ ـــ ٦٥١ ، اذ كان يعيش فيه البطريرك ايشوعياب الثالث الحديابي . فمن هذا أيضاً يتضح بأنه من الخطأ نسب تأسيس الدير الأعلى الى مار كبرييل الكشكري ، لأن كبرييل هذا توفي فقط سنة ٧٣٨ أو ٧٣٩ (٥) .

الفرج عبد الله بن الطيب ، فقه النصرانيــة ، جزء ٢ ، ص ١٦٨ ، طبعة لوفان ، حيث نقرأ : « قوانين اسكول دير الاعلى الذي على اسم مار جبرائيل » ، وفي مخطوطتين في كنيسة عينكاوه هما نسختان لكتاب الصلوات الطقسية وعائدتان الى سنة ١٨٧١ يرد اسم الدير هكذا : « الدير الاعلى لمار كبرييل ومار ابراهام بالقرب من الموصل » . وفي مخطوط كلداني سطر في الملبار سنة ١٩٦٢ وهو محفوظ في المكتبة الفاتيكانية نعرف انــه « دير مار كبرييل ومار ابراهام » بالقرب من الموصل ، انظر :

Codex Syr. Vat. LXXXV, f. 104 : In S. GIAMIL, Genuinaee.., P. 574 ;

اما ما يأتي في كتاب العفة لايشوعدناح مطران البصرة ، المؤلف سنة ٨٤٩ ، في عدد ١٢٢ ، ينسب تأسيس الدير الى مار كبرييل الكشكري كدير رابع له ، فهي لا شك اضافة ادخلها احد النساخ ، لان النص يعلن بصراحة ان مار كبرييل الكشكري هذا لم يؤسس الا ثلاثة اديرة . فمار كبرييل مؤسس الدير الاعلى أو الذي على اســمه تأسس هذا الدير ، هو غــير كبرييل الكشكري . وللتأكد هاك نص ايشوعدناح كما جاء في النسخة المطبوعة بالكلدانية من قبل الاب بيجان والمترجمة الى العربية ، اذ نقرأ في عدد ١٢٢ ص ٧٣ من الترجمة العربية ما نصه : الطوباوي مار كبرييل الكشكري : الذي اسس ثلاثة اديار : الاول بجوار ماحوزا أريون في باجرمي . والثاني بقرب دور اقوني . والثالث ببلد باروشمي دير الرجال . وكان من المفهوم ان ينتهي النص هنا مكتفياً ، لأنه قد ذكر الاديرة الثلاثة التي أسسها مار كبرييل الكشكري . لكننا نصطدم بهذه الاضافة « ودير مار كبرييل بالموصل بناه أيضاً هذا الطوباوي . توفي في باجرمي سنة ألف وخمسماية يونانية ... » وهي عبارة غريبة تشوه النص الاصيل بل وتنقضه ، هـــذا بالاضافة الى البيانات الاخرى التي تتعارض وهذا القول . انظر : الديورة في مملكتي الفرس والعرب لايشوعدناح ، تعريب القس (البطريرك) بولس شيخو ، الموصل ١٩٣٩ ، ص ٧٣ .

(٤) ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، طبعــة كرامرز ، ليدن ١٩٤٨ ، ص ٢١٤ ؛ القزويــني، طبعة فستنفيلد ، ص ٣٠٩ .

(٥) ـ الاب جان فيي ، الموصل المسيحية ، (بالفرنسية) ١٢٧ ـ ١٢٨ .

أهميته

عرف الدير الاعلى أوجه في الجيلين التاسع والعاشر ، حتى انه اعتبر مركز الثقل في كنيسة المشرق القديمة أو كمجمع طقوس للطائفة الكلدانية . فقال فيه الشابشتي : « هذا الدير بالموصل (في اعلاها) ، يطل على دجلة والعروب ، وهو دير كبير عامر ، (يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ، ويقال انه ليس للنصارى دير مثله لما فيه من اناجيلهم ومتعبداتهم) . فيه قلايات كثيرة لرهبانه [٦] . واذا ما كان ينبغي

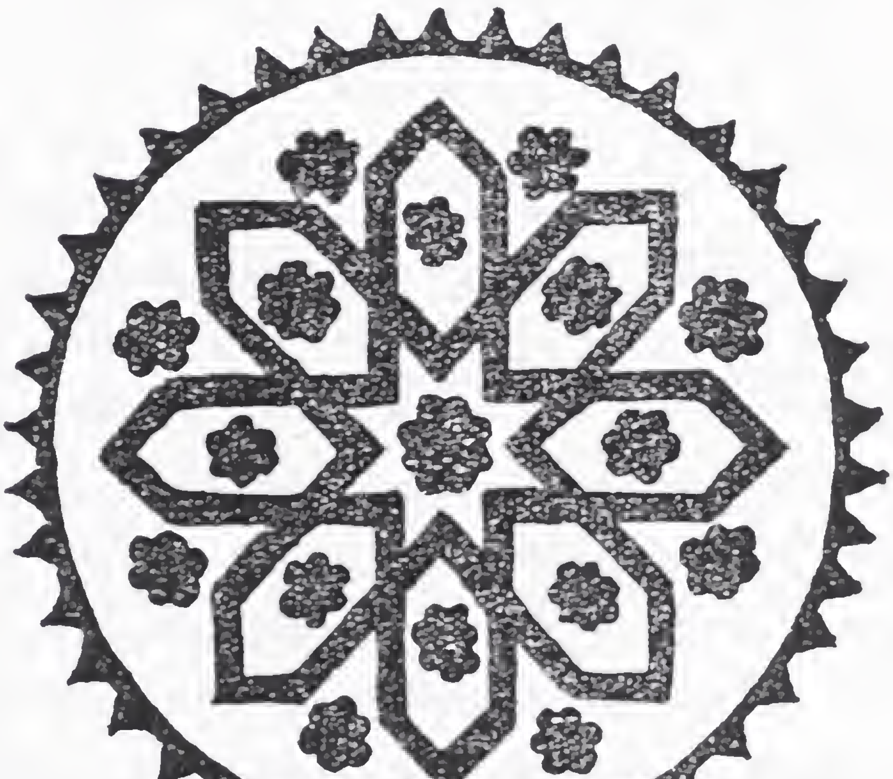

تخطيط لنجمة زخرفية تزين مواضع عديدة في الكنيسة

---

(٦) الديارات للشابشتي ، ص ١١٢ ؛ معجم البلدان للحموي ، جزء ٢ ، ص ٤٩٨ ؛ ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوه‌جي ، الموصل ١٩٥٥ ، ص١٤٦ ، سليمان الصائغ . الدير الأعلى وأهميته في الليتورجيه الكلدانية ، النجم ٥ (١٩٣٣) ، ص٢٤-٢٦ (وهو تلخيص لمقالة ريكر) .

التميز ما بين التنظيم الطقسي الذي قام بـه ايشوعياب في حدياب وبين نظـام الطقوس الذي كان متبعاً في الدير الاعلى ، فالثابت ان الطائفة الكلدانية قـد سـارت لأجيال على النظام المنبثق عن هـــذا الدير وان معظم الكتب الطقسية استنسخت « حسب نسخة الدير الاعلى » أو « حسب نسخة مار كبرييل ومار ابراهام بالموصل »(٧) .

---

(٧) هاك ترجمة ما جاء في نهاية المخطوط الكلداني المسطر في الملبار سنة ١٩٦٢ والمحفوظ في المكتبة الفاتيكانية : « انتهى بقوة ربنا والهنا الطقس الذي يقام في الايام البسيطة على مدار السنة بموجب الطقس المرتب من آبائنا المغبوطين تلاميذ المدرسة اللاهوتية في دير مار كبرييل ومار ابراهام المقدس الذي بالقرب من الموصل» (جميل ، العلاقات ـ باللاتينية ـ ، ص ٥٧٤) . وفي كتاب الصـــلوات الكشكول المستعمل حتى اليوم في كنيسة عينكاوه نقرأ ما ترجمته : «انتهت بقوة ربنا وتدبير قوته هذه الأناشيد البسيطة التي هي للمعونة (عوذراني) او الصلوات مع مشتملاتها والموتى (شوحلابي وعنيذي) حسب طقس الدير الأعلى لمار كبرييل ومار ابراهام بالقرب من الموصل... في ٢٥ من شهر تشرين الاول المبارك سنة ١٨٧١م».

وفي مخطوط يصلى به في تلكيف نقرأ أيضاً بأن الصلوات هي حسب ترتيب طقس الدير الأعلى ، والكتاب يعود الى سنة ١٦٨٥ وقد سطر في القوش . حتى ان العلامة أدولف ريكر يلاحظ بان نسخ الحوذرا والكزا والكشكول ، وهي الكتب الطقسية الكلدانية ، قد كتبت كلها حسب تنظيم الدير الأعلى ، وكذلك كتب رتبة التعازي والمراثي التي وجـــدت بعد إصلاح الدير الأعلى ، ويستند في ذلك على كتاب ديوفطيخين وعلى كتاب حياة يوسف بوسنايا ، أحد تلاميذ دير الربان هرمزد المتوفى سنة ٩٧٩ ، والذي كان يقصـــد أحياناً دير مار كوريل ، مشياً على الأقدام ، ليتلقى بعض الدروس في مدرسته . وقـــد كتب حياته تلميذه يوحنا بن خلدون . راجع عن كل هذا :

A. RUCKER, Das Obere Kolster bei Mosul und seine Bedeutung fur die Geschichte der ostsyrischen Liturgie, O. Ch. 1932, 180.

وفي مخطوط عربي نفيس يشتمل على الأناجيل الأربعة مسطر سنة ١٥٤٤ يونانية ، وهي ١٢٢٣ ميلادية محفوظ في دير الشرفة بلبنان ، نقرأ ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب الانجيل الطاهـــر مفصلاً فصولاً تقرأ في الروازين في القداديس الواقعة في دائرة السنة على ترتيب الدير الأعلى قرب الموصل على جبل مطل على دجلة ، كان له طقس خصوصي مشهور وكان يشتمل على عـــدة مصاحف قيمة ويعرف الآن بالطخس (الطقس) الموصلي » . وفي آخره « تحت فصول الانجيل التي تقرأ في أوقات الصلوات على ما رتب بالدير الأعلى وهو الطخس الموصلي» (الاستاذ رفائيل بابو اسحق ، دير مار كوريل ، النور ٥ (١٩٥٤) العدد ٦

مدرسته

اشتهر الدير الاعلى بمدرسة عرفت باســـم « أم الفضائل » . وامتاز باساتـذة مشاهـــير ، منهم الربان حبيب الذي يذكره توما المرجي قائلاً : ان الربان حبيب اذ ارسلت اليه المعلومات عن مار نرساي اسقف مدينة السن « لكي ينسقها ويوليها طابعاً قصصياً . . . ترك نوع التراكيب التي تقتضيها القصة ووضعها منضومة على البحر الرباعي ولا يتيسر فيها الاطلاع على المبرات والجلائل » [٨] وعمانوئيل برشهاري المتوفي سنة ٩٨٠ الذي ألف كتاب « الاوكساميرون » « أو الايام الستة » بكلام موزون بالعروض ، وله أيضاً تفاسير وتعاليم أدبية [٩] . والربان سركيس الذي كان يعلم العهد الجديد والقديم واجزاء المفسر تيودورس المبسوستي الثلاثة والثلاثين ، وكان يتقن ذلك جيداً حتى انه كان يعرف غيباً كل هذه المقالات ومقالة مار ديودورس الطرسوسي أيضاً . والربان يوسف بوسنايا الذي سكن دير مار ابراهام التائب ، ولكنه كثيراً ما كان يعود الى دير مار كبرييل حـــتى بعد وفاة الربان سركيس واســتلام خلفه الربان عبد يشـوع منصة التعليم [١٠] .

ومن مشاهير الاساتذة في دير مار كبرييل ، الراهب عبد يشوع المذكور ، خلف

(حزيران) ص ٢٦ ، عن المشرق ١١ ، ص ٩٠٢ـ٩٠٧ ، وكذلك لدى كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ٩٩ـ١٠٠ .

(٨) كتاب الرؤساء لتوما اسقف المرج ، من القرن التاسع ، تعريب الأب البير أبونا ، الموصل١٩٦٦ ص ٢٣١ـ٢٣٢ .

(٩) بطرس نصري ، ذخيرة الأذهان ، الجزء١ ، الموصل ١٩٥٠ ، ص ٤٣٢ ؛
J. - B - CHABOT, Litt'erature Syriaque Paris 1934, P. 117 .

(١٠) الاب فيي ، الموصل المسيحية ، ص ١٢٨ ؛ يوسف بوسنايا ليوحنا بن خلدون ، طهعة شابو ، ص ٢٥ و ٢٧ (بالفرنسية) .

الربان سركيس ، الذي اصبح بطريركاً عام ٩٦٣ ، وهو من أهل كرخ جذان من أعمال باجرمي ، وقد تعلم المنطق على ابن نصيحا تلميذ ابن كافا في اسكول الدير الاعلى (١١) . كما ان مؤلف « الاسئلة والاجوبة » ، ولعله البطريرك ايشوعياب الرابع (١٠٢٠ ــ ١٠٢٥) كان استاذاً في مدرسة الفضائل . وقد ترأس هذا البطريرك حفلة رسامة كهنة وشمامسة جرت في الدير الاعلى (١٢) .

وشهد بشهرة هذه المدرسة ابو عثمان الخالدي الموصلي (١٠٠٩) بقصيدة اطرى فيها رهبان الدير فقال :

محاسن الدين تسبيحي ومسباحي ... وخمرة في الدجى صبحي ومصباحي
منادماً في قلاليه رهابنة ... راحت خلائقهم أصفى من الراح
قد عدلوا ثقل اديان ومعرفة ... فيهم بخفة ابدان وارواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة ... وحكمة بعلوم ذات ايضاح
في طب بقراط لحن الموصلي وفي ... نحو المبرد اشعار الطرماح
وتنشد حين يبديه المزاج لنا ... المع برق سرى أو ضوء مصباح (١٣)

موقعه

كان الدير الاعلى يضرب به المثل في رقة هوائه وحسن موقعه واطلالته ، فهو في اعلى نقطة في المدينة ، ولذا عرف بالدير الأعلى . واشرافه على نهر دجلة جعل منه منتزهاً

---

(١١) المجدل او اخبار فطاركة المشرق ، لماري ص ٩٩ ، ولعمرو ص ٩٣ .

(١٢) *Van UNNIK, Questions, P. 148-149 et 77, 80...*

(١٣) المطران سليمان الصايغ ، تاريخ الموصل ، الجزء الثالث ، جونيه ١٩٥٦ ، ص١٢٩ . وعن الشاعر نفسه ، انظر الجزء الثاني ، بيروت ١٩٢٨ ، ص ٦١ . وعن أبيات القصيدة انظر الثعالبي في يتيمة الدهر ، الجزء ٢ ، طبعة علي محمد عبد اللطيف ، ص ١٧٠ . وفي النجم ٧ (١٩٣٥) ص ١٧١ . القس (المطران) سليمان صائغ ، الدير الأعلى او دير مار كوريل .

يقصده العوام والخواص وحتى الملوك ولا سيما في المناسبات والاعياد. كان الناس يقصدونه للصلاة والتنزه ، فيلقون من رهبانه الترحاب والضيافة . وكثيراً ما كان يجري الله آيات وعجائب على قاصديه بشفاعة القديس صاحب الدير .

قال فيه ياقوت الحموي : دير الاعلى : بالموصـــل في اعلاها على جبل مطل على

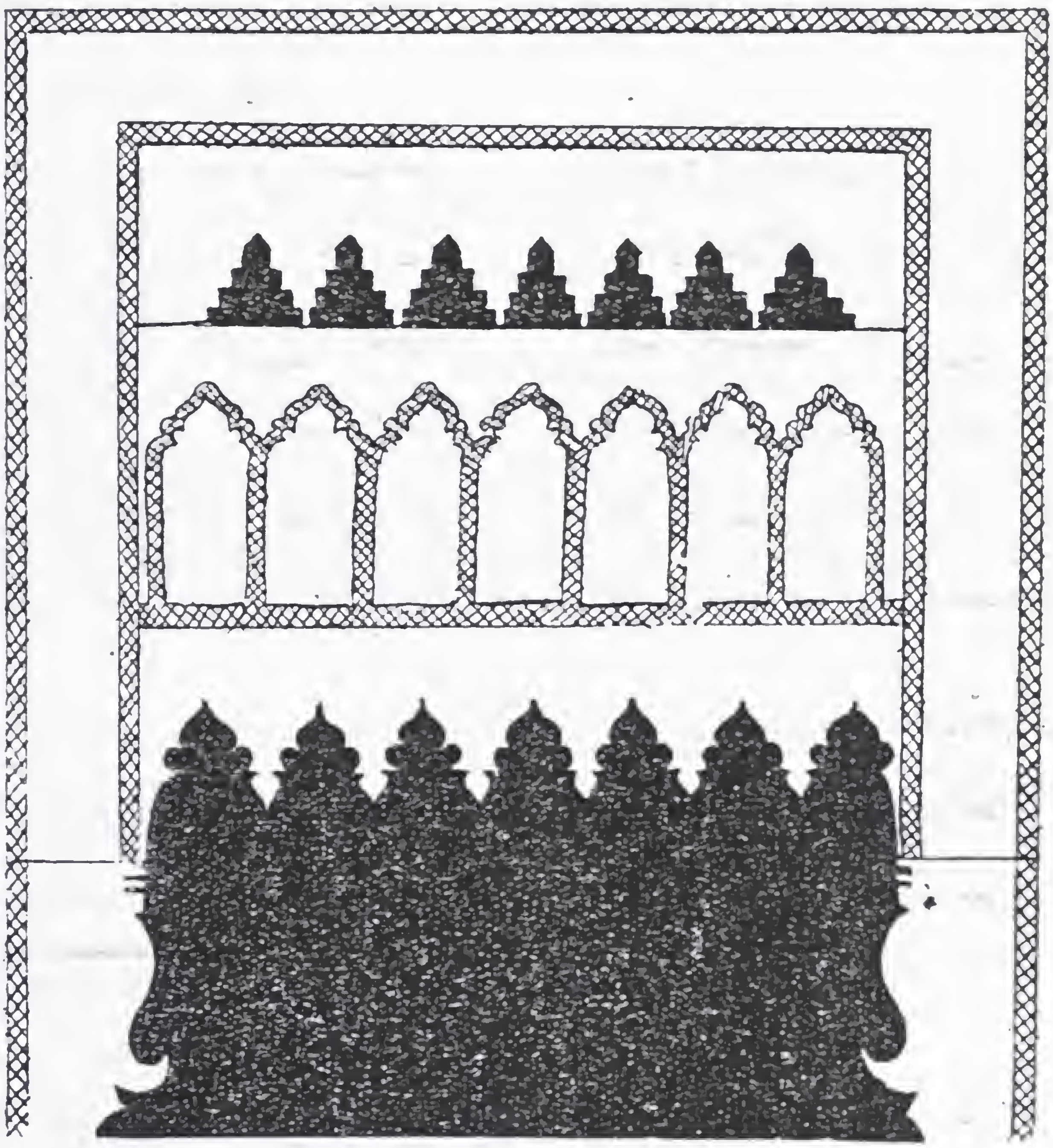

تخطيط لباب بيت الشهداء أو القديسين

دجلة ، يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ، ويقال انه ليس للنصارى دير مثله لما فيه من اناجيلهم ومتعبداتهم ، وظهر تحته في سنة ٣٠١ (هجرية الموافقة سنة ٩١٣ ميلادية) عدة معادن كبريتية ومرقشيتا وقلفطار ، ويزعم أهل الموصل انها تبرىء من الجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين والزمنى(١٤) .

« وله درجة منقورة في الجبل يفضي الى دجلة نحو المائة مرقاة ، وعليها يستقي الماء من دجلة » (١٥) .

وقال فيه أبو عثمان الخالدي :

واستشرفت نفسي الى مستشرف ... للدير ، تاه بحسنه وبطيبه
متفرق آذي دجلة تحته ... بغديره وخليجه وقليبه
فنعمت بين رياضه وغياضه ... وسكرت بين شروقه وغروبه
غنى الجمال به فزاد الثغر من ... تفضيضه ، والخد من تذهيبه
واهتز غصن البان في زناره ... واضاء جيد الاديم تحت صليبه[١٦]

مساحته

تفيدنا شهادة المؤرخين ان مساحة الدير كانت واسعة جداً ، اذ كان يمتد من شمال شرقي سور الموصل والقلعة العالية ، أي من ضفة نهر دجلة فوق المرتفع الذي

(١٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء ٢ ، ص ٤٩٨ . احمد محمد زين السقاف ، الأوراق ، ص ١٢١ .

(١٥) الشابشتي ، الديارات ، ص١١٢ . والشابشتي يتكلم عن العين الكبريتية فيقول : « وتحت الدير عين كبيرة تصب الى دجلة ، ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحمون منها ، ويذكرون انها تبرىء من الجرب والحكة وتنفع المقرعية والزمنى» . وأما عن زيارة المأمون للدير فانظر المصدر نفسه ص ١١٣ .

(١٦) القس [المطران] سليمان صائغ ، الدير الأعلى او دير مار كوريل ، النجم ٧ [١٩٣٥]، ص ١٦٩ .

لا تزال آثار قلعة باشطابية قائمة عليه ، وحتى كنيسة الطهرة التحتانية وما يجاورها ، اذ ان قلالي رهبانية كانت عديدة ومنتشرة والمساحات الفارغة أو المزروعة التي كانت تحيط أو تتوسط القلالي والكنيسة والاورقة ، كانت لا شك هي أيضاً واسعة .

غير ان موقع المدرسة البدرية في المنطقة ، والتي شيد فيها سنة ٦٣٧ هـ (١٢٨٠ م) بدر الدين لؤلؤ مشهد الامام يحيى بن القاسم الذي لا يزال قائماً حتى الآن (١٧) ، يدفع الباحث الى التقليل من مساحة الدير الاصلية . بيد انه مما لا ريب فيه ان الاراضي المتبقية اليوم في حوزة ملة الكلدان هي أقل بكثير من المساحة التي كانت للدير في عهده الغابر ، ولا سيما في عز مجده ، وهو أمر طبيعي نظراً لتداعي الدير حتى اندراس معالمه وخلوه من الرهبان وتشييد سور الموصل لأكثر من مرة في منطقة الدير .

ويذكر الحموي أبياتاً للشاعر أبي الحسين بن أبي البغل إذ اجتاز به يريد الشام فأنشد :

انظر الي بأعلى الدير مشترفا ... لا يبلغ الطرف من أرجائه طرفا
كأنما غريت غر السحاب به ... فجاء مختلفاً يلقاك مؤتلفا
فلست تبصر إلا جدولاً ترباً ... او جنة سرفا ، او روضة أنفا
كما التقت فرق الأحباب من حرق ... من الوشاة فأبدى الكل ما عرفا
باحوا بما أضمروا، فاخضر ذا حسدا ... واحمر ذا خجلا، واصفر ذا أسفا
هذي الجنان ، فان جاؤوا بآخرة ... فلست أترك وجهاً ضاحكاً تقفا (١٨)

---

(١٧) سعيد الديوهجي ، الموصل في العهد الأتابكي ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ١٤٧ .

(١٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء ٢ ، ص ٤٩٩ .

اندثاره

اما زمن اندثار الدير ، فهو حسب تقليد قديم[١٩] سنة ١٢٦١ . ويبدو لأول وهلة ان هذا الرأي يتعارض مع ما جاء في قصيدة للشاعر حسن عبدالباقي ، التي نظمها بفرصة تعمير كنيسة الطهرة سنة ١٧٤٣ [٢٠] ، غير انه من البين ان ما جاء فيها هو من باب التخيل ليس الا ، كما يستدل من بعض عبارات القصيدة نفسها ، وكذلك أيضاً من المصادر المتأخرة المعاصرة للحقبة التي عاش فيها شاعرنا هذا أو حتى السابقة له . فالمعلومات المستقاة كلها لا تأتي على ذكر الدير الاعلى الا كأثر مندرس أو هي تحصر الكلام على كنيسة الطهرة .

ففي التقرير المرفوع الى البابا بولس الخامس عن الطائفة الكلدانية سنة ١٦٠٦ ، لا نلقى ذكراً للدير الاعلى بالرغم من احتواء التقرير على فصل يخص الرهبان والاديرة [٢١] . وليس من ذكر للدير في التقرير الذي رفعه هابيل اسقف صيدا الى البابا سيكتس الخامس سنة ١٥٨٧ [٢٢] .

والاب دومينيكو لانزا الذي وصل الى الموصل لاول مرة عام ١٧٥٤ وترك مذكرات يتحدث فيها عن حصار طهماسب ويصف معالم المدينة ، لا يسمي الدير

---

(١٩) الأب قرياقوس مخنوق ، نبذة تاريخية عن الكلدان ولغتهم ، المشرق ١٨٩٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢٠) انظر نص القصيدة في تاريخ الموصل، للقس (المطران) سليمان الصايغ ، الجزء ١ ، ص٢٨٩.

(٢١) جميل ، العلاقات ، رقم ٢٧ ، ص ١٠٠ وخاصة ١٠٥ .

(٢٢) هو الاسقف ليونارد هابيل الذي زار الشرق بتكليف من روما ورفع تقريراً عن الكلدان يذكر فيه مشاهير علمائهم في ذلك الزمان وأديرتهم ، ولا ذكر للدير الأعلى ، انظر جميل ، العلاقات ، ص ١١٥-١٢٢ ، وكذلك لدى بلترامي :

G. BELTRAMI, La Chiesa Caldea nel secolo dell'Unione, Roma 1933, P. 21, n. 11.

الاعلى (٢٣) . وفي ١٨ آذار ١٧٦٦ زار كارستن نيبور مدينة الموصل وتحدث في مذكراته عن كنيسة الطهرة وتجديدها عقيب اشتراك المسيحيين في الدفاع عن المدينة ضد طهماسب، ولكنه لا يذكر دير مار كبرييل (٢٤) . ويقتصر جمس بكنغهام أيضاً ، الذي زار العراق عام ١٨١٦ ، على ذكر كنيسة الطهرة [٢٥] . اما السائح اينسوورث الذي زار الموصل عام ١٨٣٧ ، فيشـــير الى بقايا كنيسة لا غير (٢٦) . اما بادجر الانكليزي فكتب في سياحته التي قام بها سنة ١٥٨٠ ما تعريبه « يقع الدير الاعلى المخصص بمار كبرييل ومار ابراهام في الشمال الشرقي من الموصل ، ملاصقاً تماماً لسور المدينة ، وترى بقـــاياه الى هـــذا اليوم » (٢٧) . ولا يزال بعض المسنين يتذكرون آثار خربات شبيهة بقلالي الرهبان كانت منتشرة في سفح مرتفع باشطابية وفي الارض المسماة بأرض خربات الدير .

قوانين مدرســـته

سجل لنا ابن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣ قوانين مدرســـة الدير الاعلى في كتابه « فقه النصرانية » . والغريب ان أحـــداً من المؤلفين الذين كتبوا عن الدير الاعلى لم يشيروا الى هذا المصدر . لذا ننقله هنا بحرفه .

---

(٢٣) الموصل في القرن الثامن عشر ، تعريب القس (المطران) روفائيل بيداويد ، الموصل ١٩٥٣ .

(٢٤) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة الدكتور محمود حسين الأمين ، مراجعة سالم الآلوسي ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١١١ .

(٢٥) رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الجزء ١ ، بغداد ١٩٦٨ .

(٢٦) *AINSWORTH, Travels and researches in Asia minor, Mesopotamia, and Armenia, vol. II, Londoh 1842, P. 129.*

٢٧) *BADJER, Th Nestorians and their rituals, vol. II, London 1855, P. 17;*
ويقول الصايغ بأنه لما بيعت بقايا السور القديم دون الاكتراث لقدميته ، ظهرت بعض قـــلالي الدير الملاصقة للسور : الدير الأعلى أو دير مار كوريل ، النجم ٧ (١٩٣٥) ، ص ١٦٦ . كما ان الحفريات الحالية ستكشف عن بعض آثار هذا الدير العظيم المندرس .

« قوانين اسكول (مدرسة) الدير الاعلى الذي على اسم مار جبرائيل كل جمعة تكون الكتابة فيها برسم أحد الاسكوليين من القسان أولاً ثم الشمامسة بعد

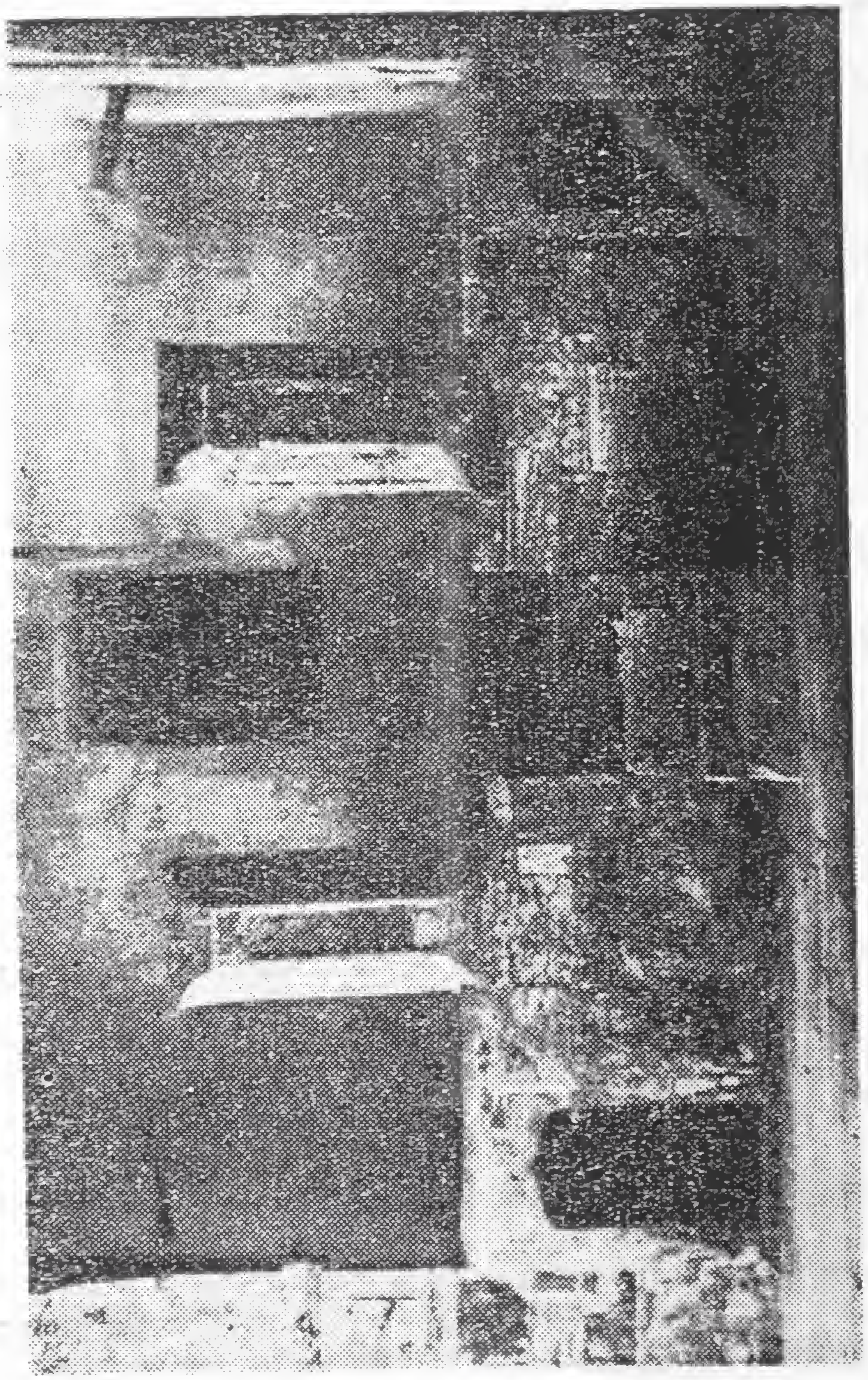

صورة للسلم

ان يكونوا عارفين بما لهما وتقع العناية بالشهارين (صلوت السهر) ويقفون وقت الهجاء على أرجلهم وينصتون الى الاصحاح (من الكتاب المقدس) ويكون برسم المذبح أحد القسان في كل شهر يخدم القنكانوث (المذبح) من دون الشمامسة وفي اسكول المدائن يقسم المطاويث (النوبات أو الادوار) ثلثة للصبيان الذين هم في كنف زتائبهم المطوث الصغير ومن لم يقرأ كتاب الحديثة (العهد الجديد) واذا فرغوا من كتاب الحديثة وابتدا بالتوراة يعطون مطوثاً متوسطاً ومن فرغ من بيت موتبا (صلاة الجلوس) والانبياء يعطون المطوث على التمام وعلى المعلمين محبة التلاميذ وآدابهم وزجرهم واخذهم بالتعليم وعلى التلاميذ الطاعة كطاعة الأنبياء لآبائهم والولادة بالعلم أجل من الولادة بالطبع » (٢٨) .

اعياده

واشتهر الدير الاعلى بأعياده ، فقد ذكر المؤلفون عنها وافاضوا . لكننا حين نتكلم عن الاعياد فلا نعني الا تلك الاحتفالات الدنيوية التي لا يبقى فيها للطابع الديني سوى المناسبة وبعض المراسيم التي لا تستغرق الا وقتاً محدوداً قصيراً ، بينما يصرف الوقت الآخر كله بالتنزه والمرح والغناء والرقص الشعبي والاكل والشرب . واهالي الموصل يعرفون جيداً مثل هذه الاعياد ، لأنها شبيهة بمواسم الطهرة ومار كوركيس ومار ميخائيل ومار إيليا التي كانت تجري الى سنوات خلت في مدينة الموصل ، بجوار الكنائس والاديرة المذكورة ، ولا تزال بعض آثارها قائمة حتى اليوم . بل لا شك ان موسم الطهرة ما هو الا امتداد لعيد السعانين الذي كان يحتفل به في الدير الاعلى بأبهة وشكل ظاهري، واستغل الاهالي المناسبة المقدسة هذه كفرصة لاحياء حفلات وسهرات وقضاء سويعات من

---

(٢٨) أبو الفرج عبد الله بن الطيب، فقه النصرانية، طبعة هينرباخ وشبيز ، لوفان ١٩٥٧ ، القسم٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

الطرب والمرح في سهل منفسح وأخضر أو على التلول في فصل الربيع مما تشتهر به ام الربيعين .

على ضوء هذه الخواطر يمكننا ان نطالع ما جاء على لسان الشابشتي وغيره ، واثقين بان الوصف إنما ينطبق على ما كان يجري خارج الدير الاعلى وبالنسبة الى أغلبية قاصديه .

يقول الشابشتي : « والشعانين في هذا الدير حسن ، يخرج إليه الناس فيقيمون فيه الايام يشربون . ومن اجتاز من الولاة نزله . وقد قالت الشعراء في هذا الدير ، ووصفت حسنه ونزهته . « وللثرواني (محمد بن عبد الرحمن) ، فيه :

اسقني الراح صباحا ... قهوة صهباء راحا
واصطبح في الدير الاعلى ... في الشعانين اصطباحا
ان من لم يصطبحها اليو ... م ، لم يلق نجاحا
ثم قلدني من الزيتون ... والخوص وشاحا
في الشعانين وان لاقيت ... في ذلك افتضاحا
عظم الاعلام والرهبان ... والصلب الملاحا
واجعل البيعة والقصـ ... ـر جميعاً مستراحا
لا كمن يمزح الشهر ... ة والخلع مزاحا
اودع الشهرة والزم ... كل من يهوى الصلاحا
الزم الجمعة والبكرة ... فيها والرواحا » (٢٩)

ومما لا ريب فيه ان المتحاربين كانو يراعون حرمة الدير . فان هارون الرشيد

(٢٩) الشابشتي ، الديارات ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

لما أقبل الى الموصل عام ٧٩٣ ليطرد مغتصبها عطاف بن سفيان ، اضطر بسبب الحصار ان يوعز الى عسكره فيهدم قسماً من أسوارها ، لكنه لم يلحق بالدير الاعلى أي ضرر (٣٠) .

والخليفة المأمون في طريقه الى الشام ، حوالي سنة ٨٣٠ ، حل في الدير الاعلى وأقام به أياماً لطيبه ونزهته . ووافق نزوله عيد السعانين فتربع المأمون في موضع حسن مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ، وكان الدير مزيناً بأفخم الزينات . فجرى الاحتفال الديني أولاً ، بخروج الرهبان والكهنة والشمامسة والفتيان مرتدين ثيابهم الكنسية المزركشة ، وحاملين بايديهم الصلبان والمجامر والشموع . وبعد انتهاء التطواف دخلوا الى الكنيسة للصلاة والقداس ، بينما جرت في الخارج حفلة تكريم للخليفة ، فتقدم منه الاولاد والبنات وبايديهم باقات الرياحين والاوراد فاهدوها اليه ، ، ثم قدم غيرهم للمأمون وجماعته كؤوس الشراب ، فطرب واخرج وصائفه فرقصن ، وانبرى شاعره أحمد بن صدقة ينشد شعراً غزلياً ، عقبته نعم الجارية فآنست الخليفة . ولما انتهى العيد تصدق المأمون بثلاثين ألف درهم (٣١) .

وللخالدي أيضاً وصف غزلي لمشهد مما كان يجري إبان تلك الاحتفالات الدنيوية المقامة في موسم الدير الاعلى وأعياده ، ومطلع قصيدته : قمر بدير الموصل الاعلى (٣٢) .

---

(٣٠) الصايغ ، تاريخ الموصل ، الجزء ٣ ، ص ١٢٨ ؛ وانظر : حبيب زيات ، الديارات النصرانية في الاسلام ، بيروت ١٩٣٨ ، ص ٤٤ .

(٣١) الشابشتي ، الديارات ، ص ١١٣-١١٤ .

(٣٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء ٢ ، ص ٤٩٩ .

فالدير الاعلى الذي كان عامراً قبل منتصف القرن السابع ، بلغ أوجه من العمران والازدهار وصارت له مكانة مرموقة في عالم الدين والعلم والسياحة في الجيلين التاسع والعاشر خاصة ، فاشتهر بحسن موقعه وجمال اعياده واهميته في تنظيم طقوس الكنيسة الكلدانية ، ولكنه كما لمع نجمه سريعاً هكذا انطفأ نوره ، فلم تبق عليه صروف الزمان واندثر في الجيل الثالث عشر أو بعده بقليل .

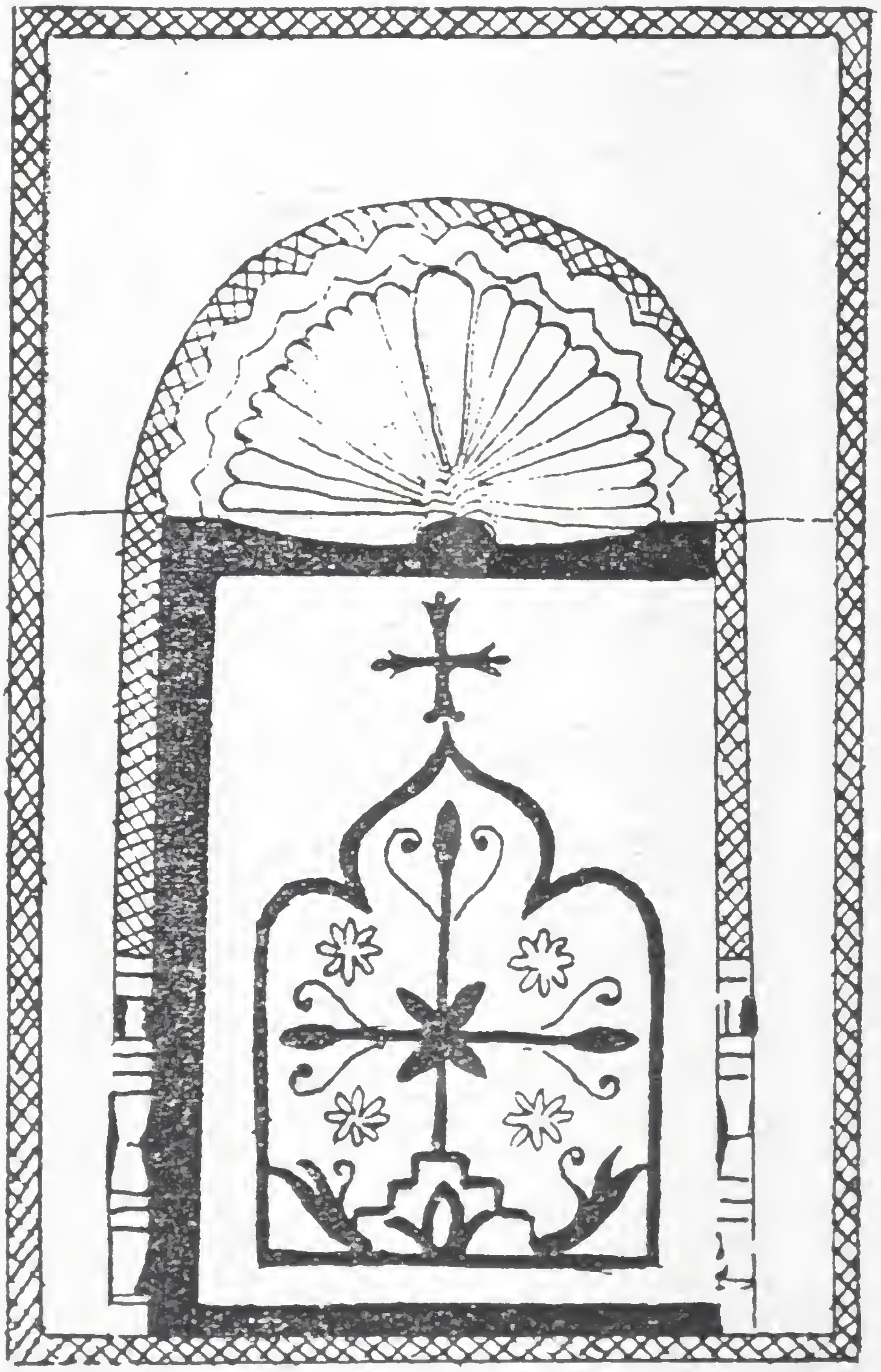

تخطيط للحنية الاولى والثالثة

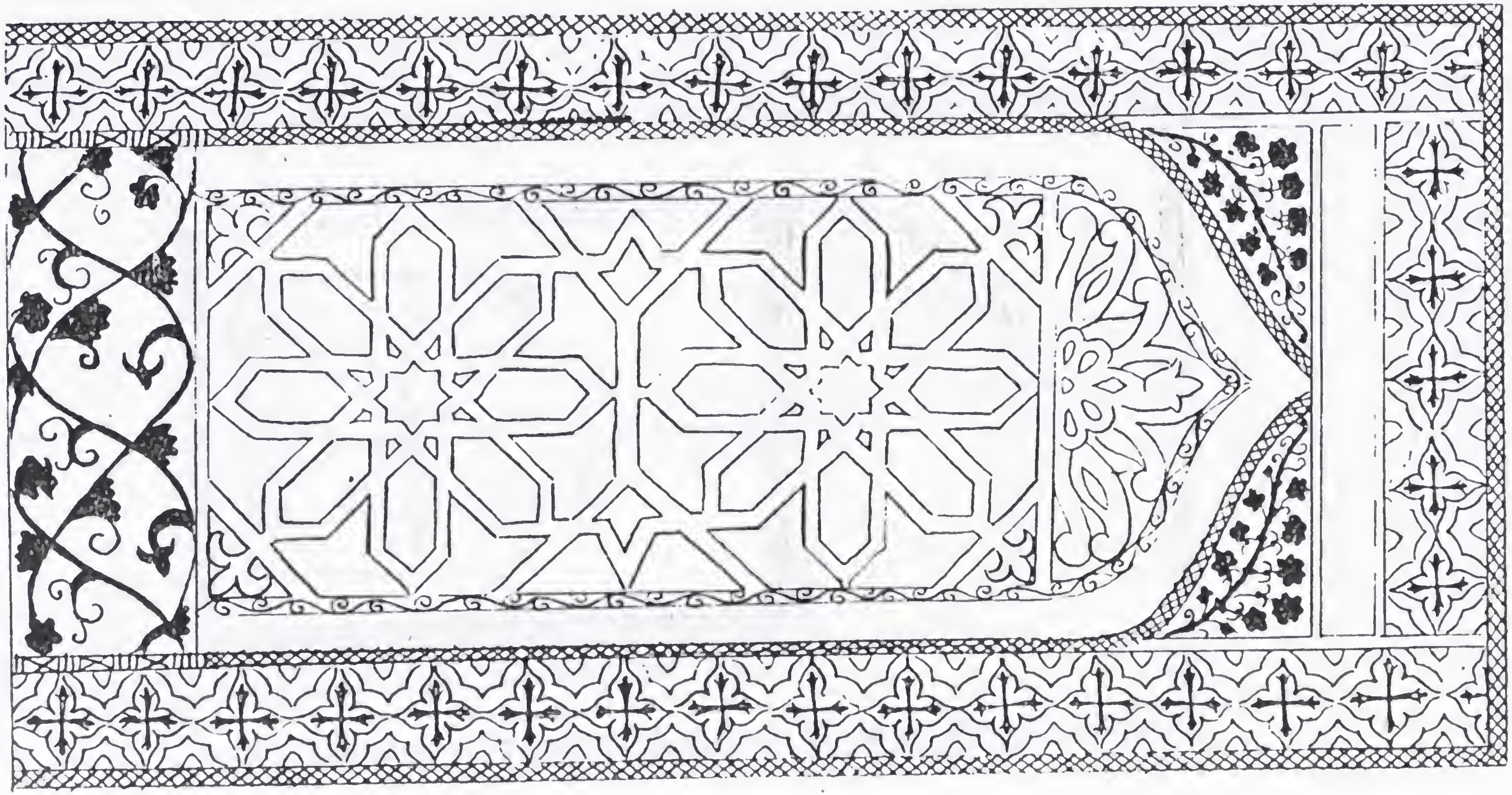

تخطيط للعارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل

كنيسة الطاهرة مريم

لقبها

تحمل الكنيسة اسم العذراء مريم ، وهي معروفة بـ « الطهرة التحتانية » ، تمييزاً لها عن كنيسة « الطهرة الفوقانية » للسريان الارثوذكس القريبة منها والحديثة العهد نسبياً .

نقرأ على باب الرجال سطراً بالاحرف الاسطرانجيلية الكلدانية ما تعريبه « لتكن صلاة البتول مريم أم المسيح سوراً لنا ولتحفظنا من الشرير » . وفي وسط الواجهة المرمرية للمذبح نجد كتابات عربية بأحرف كلدانية ، منها « العذراء الطاهرة مريم » . وفي قطعة تاريخ التجديد الذي جرى للكنيسة عام ١٨٧٢ نلقى بالعربية العبارة « بجاه الطاهرة مريم العذراء » ، وفي قطعة تاريخ تجديد سنة ١٩٣٢ تطالعنا الديباجة التالية « اكراماً الى مريم البتول الطاهرة » . ويأتى اسم الكنيسة على القبر الذي في وسط الايوان والعائد الى سنة ١٧٤٧ هكذا : « بيعة مارت (السيدة) مريم » .

وان اقدم ذكر لاسم كنيسة الطهرة أو كنيسة « سيدتنا مريم » يرد في انجيل

محفوظ في كنيسة مار اشعيا ويرجع تاريخ استنساخه الى سنة ١٦٨٣ . كما ان كتاب الصلاة الطقسية المحفوظ في ارادن والمؤرخ سنة ١٧٧٧ يذكر هذه الكنيسة على انها كنيسة العذراء (٣٣) .

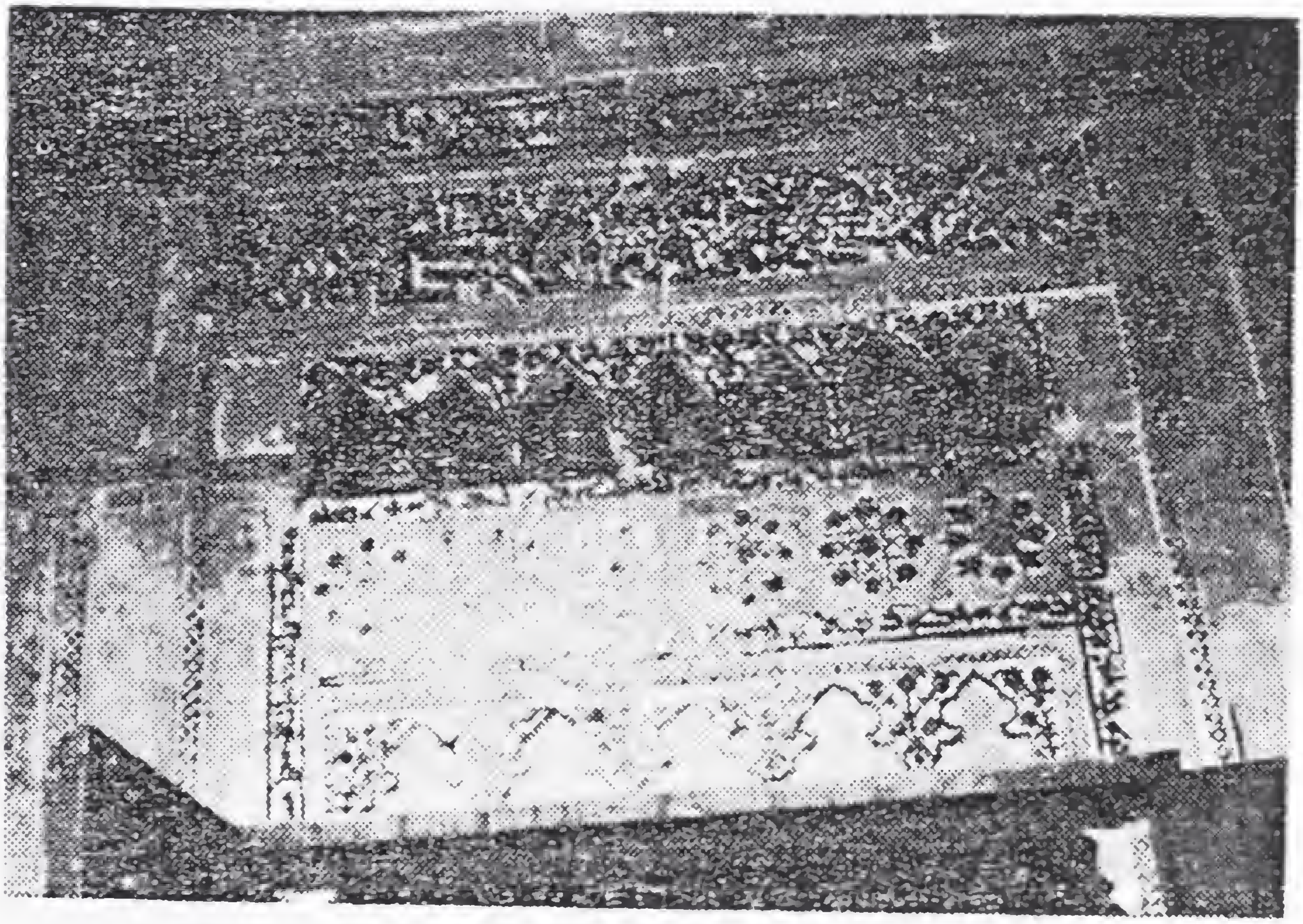

صورة لباب الرجال الخارجي

قدميتها

لا ريب ان كنيسة الطهرة كانت في الاصل كنيسة الدير الأعلى ، فهي قديمة جداً . وخير دليل على ذلك هو ما ذكرناه حتى الآن عن تاريخ دير مار كبرييل وامتداده وموقعه ، ثم ما سيأتي ذكره بصدد قدمية هذه الكنيسة التي نعرف بانها تجددت

(٣٣) الأب فيي ، الموصل المسيحية ، ص ١٣٢ .

عام ١٧٠٥ وقد كانت قائمة وعامرة سنة ١٦٨٣ أيضاً . كما ان وجود ميناث أو ذخائر « مار كبرييل الطوباوي » فيها ، وشهادة مؤرخين كثيرين وشعراء يجعلون العلاقة صميمة ما بين الدير الاعلى وكنيسة الطهرة ، ويؤكدون على انها كنيسة الدير حتماً ، والقول بالكشف عن نفق يصل الكنيسة بخربات باشطابية إبان الحفريات الاخيرة عام ١٩٣٥ ، كل هـذا يجعلنا ان نثق بالتقليد السائد والقائل بان كنيسة العذراء الطاهرة مريم ما هي الا كنيسـة دير مار كبرييل وابراهـام أو الدير الاعلى ، ولا حرج ان تحمل كنيسة الدير اسم العذراء .

ما قلناه لا يعني بأن الكنيسة الحالية هي التي ترجع الى عهد الدير ، أو ان البناية القائمة اليوم تعود الى الجيل السابع أو الى ما قبله ، مع ما اجريت عليها من تجديدات وترميمات . بل العكس هو الصحيح ، أي ان عمارة كنيسـة الطهرة هي حديثة العهد نسبياً ، والقديم الذي فيها هو خاصة موقعها ، أي ان الكنيسة الحالية هي مبنية على أسس وآثار كنيسة الدير القديمة .

كل ما في كنيسة الطهرة ، سواء من حيث هندسة البنيان والزخارف وسـواء مما نستقيه من تواريخ الترميمات والتجديدات ، يؤكد على ان الكنيسة بهيئتها وآثارها الحالية، انما تعود الى التجديد الذي تم عام ١٧٠٥ ، كما هو مسطر على باب الرجال الذي يعد من أقدم مما في الكنيسة الآن . ولا شـــك ان بعض القطع المرمرية المخرمة والنقوش الهندسية والمقرنصات المصنوعة باتقان الموجود بعضها فوق الابواب القديمة وفي واجهة المذبح الكبير والحنيات والعارضات ، هي قديمة العهد ، ولعلها ترجـــع الى العصر الاتابكي لانها شبيهة بفن ذلك العصر وموادها قديمة ، أو هي على الاقل تقليد للفن الاتابكي يسبق الجيل الثامن عشر . اما الكنيسة، بمجملها الهندسي والفني ، فهي من آثار

الفن الجليلي ، أي من تجديد سنة ١٧٠٥ ومن التجديد الآخر الذي جرى سنة ١٧٤٤ كما سنرى .

يصفها الرحالة والشعراء

يرد ذكر كنيسة الطهرة في رحلة كارستن نيبور الالماني الذي زارها في منتصف آذار ١٧٦٦ فكتب ما نصه : « وللنصارى في الموصل نحو من عشر كنائس ولكن معظمها صغيرة جداً . وقد سمح لهم الباشا ببناء عدد جديد آخر وترميم القسم الباقي وتجديده ، ذلك لانهم اشتركوا في الدفاع ببسالة عن الموصل اثناء حصارها الاخير سنة ١٧٤٣ . وقد بنى النساطرة لهم كنيسة جديدة (الطهرة). . . وكذلك فعل اليعاقبة . . . وهاتان الكنيستان جميلتان وخاصة كنيسة النساطرة التي ليس لها مثيل في جميع بلدان الشرق . وقد فهمت من الكتابة التي ساعدني على قراءتها أحد النصارى ان بناء هذه الكنيسة تم « في سنة ١٧٤٤ الميلادية وفي سنة ٢٠٥٥ بعد حكم الاسكندر » (٣٤) .

وزار السائح الانكليزي جمس بكنغهام كنيسة « مريم العذراء » في السادس من تموز سنة ١٨١٦ فكتب عنها : « وقد تهيأت لي فرصة مشاهدة الرسوم الداخلية في كنيسة مريم العذراء الكاثوليكية هذه في الموصل . وكان المستر « ريج » المقيم البريطاني في بغداد قد صور هذه الرسوم اثناء زيارته للموصل وهي تعد من أقدم اماكن العبادة لدى المسيحيين والتي ما تزال قائمة حتى الآن . ويقال انها شيدت على ذات الطراز الذي شيدت به كنيسة القديس جيمس (يعقوب) المخربة في نصيبين . واطواق الممشى فيها من الطراز العربي الاعتيادي المدبب ، والانواع الصغيرة في هذه الاطواق مفرطحة

(٣٤) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود حسين الأمين ، راجعه سالم الآلوسي ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١١١ .

بالشكل المألوف في الطراز السكسوني ، بينما تحيط بصحن الكنيسة افاريز من زخارف عربية وتركية متدلية وهي ما تعرف بالمقرنصات . وأصغر هذه الزخارف وان كانت اعتيادية في مظهرها إلا انها ليست متشابهة في تفاصيلها . والاقواس المفرطحة المقرنصة التي رأيناها في مسجد ابراهيم الخليل في « اورفه » (الرها) تشاهد في هذه الكنيسة أيضاً وفيها زخارف عربية بشكل ظاهر بينما نقشت الكتابات المحيطة بها بالخط السرياني (الكلداني) ، ولهذا يمكن القول بان هذه الكنيسة من اقدم الابنية في هذا الجزء من البلاد ، وهو قول يلقي الظلال بدلاً من النور على الاسئلة التي ما تزال تطرح عن أصل البناء القوطي وهل انه نشأ في الشرق ام في الغرب »(٣٥) .

وفي ١٥ أيار ١٨٤٩ جرت في كنيسة الطهرة حفلة تقليد الباليوم البابوي للبطريرك يوسف اودو ، اشترك فيها سكان الموصل من مسيحيين ومسلمين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم ، وقد أربى على الالفين والخمسمائة عدد الذين شاركوا بالتطواف الاحتفالي. ودام الاحتفال الديني هذا من الساعة الثامنة والنصف وحتى الحادية عشرة صباحاً ، تمت خلاله المصالحة مع الكهنة والجماعة الذين عارضوا لفترة من الزمن انتخاب البطريرك اودو . نلقى وصف هذه الحفلة الرائعة في رسالة بعث بها المسيو جيليه القنصل الفرنسي في الموصل الى وزير خارجية فرنسا في ١١ حزيران ١٨٤٩(٣٦) .

---

(٣٥) رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٦٣-٦٤ ،

(٣٦) انظر نص الرسالة بالفرنسية في خزانة مخطوطات وزارة الخارجية الفرنسية في باريس تحت عنوان : *Correspondance (consulaire) et commerciale, Mossul, (1841-1873) I, f. 166-168 (Lett. de Mr Gillet)*

وانظر كذلك عن وصف الحفلة : *APF SR MP 20 (1849-55) 24 (Lett. du 10. I. 49), 118 (Lett. des 'ev'eques, du 15. V. 49), 112 (Lett. du 15. IX. 49).*

وللشاعر حسن عبد الباقي بن ابي بكر الموصلي قصيدة تلاها بحضرة حسين باشا على سطح كنيسة الطهرة بعد انجاز تجديدها عام ١٧٤٤ ، ننقلها بنصها :

عرج بنا يا اخا الاسرار معتسفاً — لبيعة ملئت عزاً وتقديسا
واقصد بنا قاعة للطاهرة بنيت — حتى بها نذهب الاتراح والبؤسا
فيها اناجيل لا تحصى فضائلها — كم عبدت كل مطران وقسيسا
وتيمت كم وكم رهبان بهجتها — وفي الاوائل كم دقوا نواقيسا
قم واستمع سحرا الحان نغمتهم — تخالهم في ظلام الليل فانوسا
في هيكل الدير قم وانظر تر عجبا — من الاشعة كالمصباح مقبوسا
فمذ قدمنا سألنا من أخ ثقة — من شاد اركان شيء كان مدروسا
فقيل لي زكريا بالبنا سبب — بعزم ليث همام قامع الروسا
عالي الجانب وزير ضيغم بطل — حسين قام لها للغد دبوسا
لا زال سعده بالاقبال مبتدراً — واعداؤه لم تزل بالذل والبؤسا
امواله صح في التاريخ جاد بها — جوزيت يا زكريا الاجر من عيسى (٣٧)

---

(٣٧) تاريخ الموصل ، للصايغ ، الجزء١٠ ، ص ٢٨٩ .

خطوة فخطوة

الفنـاء

يدخل الزائر الى الفنـاء الداخلي أو فناء الكنيسة ، من باب واطىء مستدير في اعلاه ، فيقطع ممراً ضيقاً منحدراً ومسقفاً ، لان الكنيسة هي منخفضة عن الفناء الخارجي

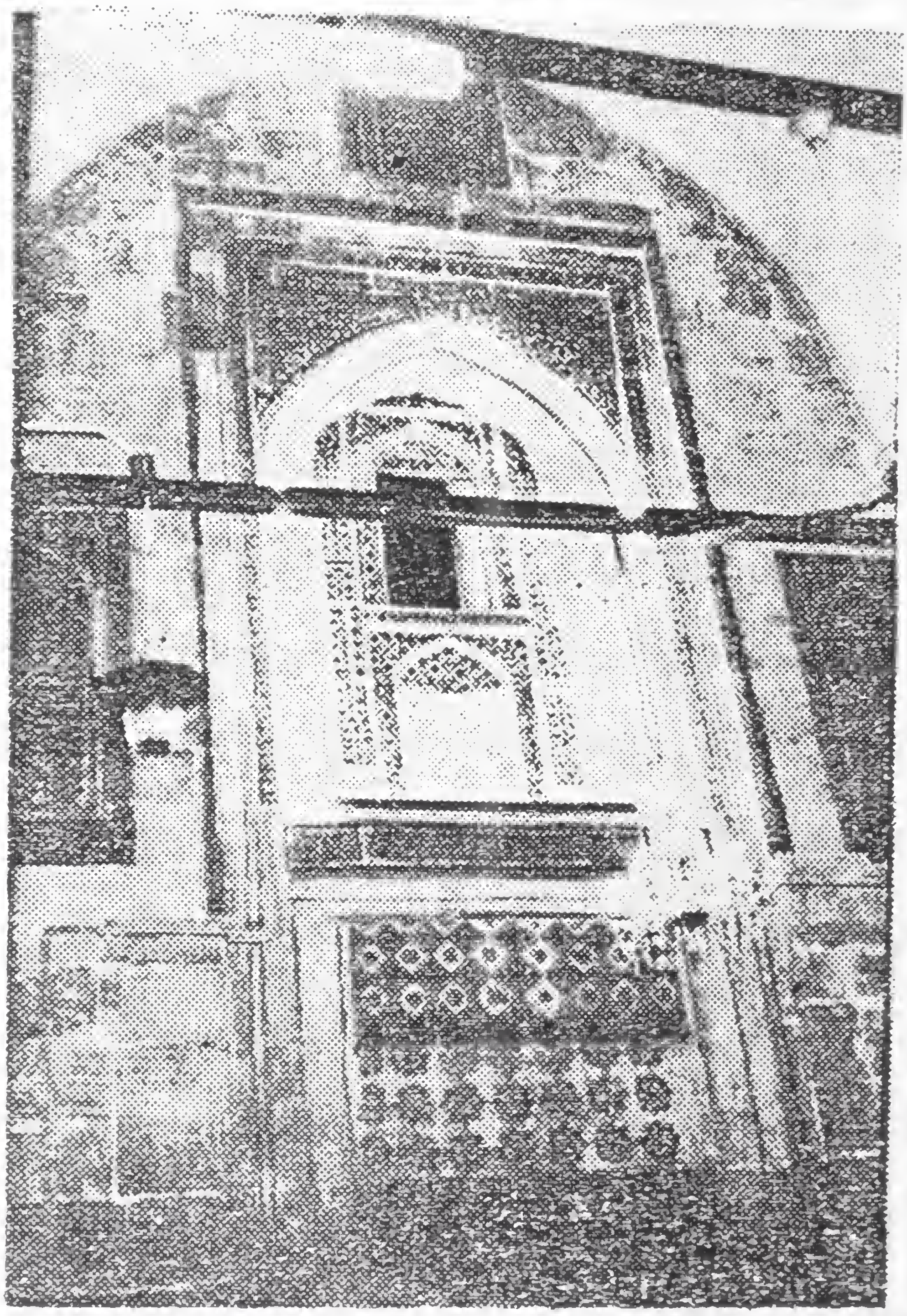

صورة لواجهة الهيـكل

بأكثر من مترين ، وفناؤها الخارجي اعلى من ارضها بربع متر تقريباً . وقد كان المدخل الطويل مرصوفاً بقنابل الطاغية طهماسب ملك الفرس ، ثم رفع معظمها ابان الحرب العالمية الاولى فصهرت واستخدمت موادها ، وبقي قسم ضئيل منها مطموراً تحت التبليط .

تبلغ مساحة فناء الكنيسة الداخلي ، المحاط بالاروقة والغرف ، نحو ٨٠٠ متراً مربعاً ، وعلى يمين الداخل ايوان قديم يتوسطه تاريخ قبر قديم ، اما عن يسار الداخل فبقايا بئر كان الزوار يستقون منها الماء للشرب وللتبرك ، ومقابل الايوان غرف للسكنى كان ينزل فيها الى سنوات خلت اشخاص يقصدون الكنيسة لالتماس شفاعة العذراء القديسة .

وفي الفناء بعض القبور القديمة تعلوها تواريخ استطعنا ان نقرأ قسماً منها . فالقبر الاول الواقع تاريخه فيمدخل الايوان هو بأحرف كلدانية قد تشوهت كثيراً، وهو بتاريخ تموز ١٧٧٦ استطعنا ان نقرأ ما يلي بالقرشونية (أي باللغة العربية ولكن باحرف كلدانية) : « هذا قبر المرحوم كوركيس ابن بهنام انتقل في شهر تموز ٢٣ سنة يونانية سنة مسيحية ١٧٧٦ » . والقبر الثاني الذي بجواره هو لامرأة بتاريخ ٦ تموز ١٩١٧ . اما القبر الذي في وسط الايوان ، ففيه تاريخ لمجددي كنيسة الطهرة بعد غزو طهماسب تمكننا من قراءة ما ترجمته عن الكلدانية : « صلوا بمحبة من أجل القس خادم الاسرار واضعي هذه حجارة بيعة السيدة مريم . . . وأيضاً الشماس يوحنان المعمار الماهر » السنة هي ١٧٤٧ مسيحية وهي ٢٠٥٨ يونانية .

ونلقى تاريخين في الجهة الاخرى من الرواق اليميني ، بأحرف عربية وبالنص عينه ، وهو : « هذا القبر ملك المرحوم يوسف بن جرجيس قنو . سنة ١٨٩٢ مسيحية ».

وفي اسفل حائط بيت العماذ الخارجي نرى قبر المطران شمعون الصائغ أسقف الموصل سنة ١٨١١ ، وهو مطمور قليلاً في الارض يزينه صليب وعكاز ونقوش .

وامام باب الرجال في اسفل العمود قبران ، الاول هو لخدوش (؟) بن الياس ساسر (؟) الطاهر وقد ملكه (؟) سنة ألف وسبعماية واحد وسبعين من سنين المسيحية ، والآخر مكتوب بالقرشونية أيضاً . استطعنا قراءة ما يلي : « صلوا لأجلها . هـذا قبر المرأة انوسة بنت الياس قد توفيت . . . سنة ١٨٨٠ » . وفي اسفل العمود الذي أمام باب النساء نقرأ بالعربية : « هـذا قبر المرحومين هرمز بن (؟) والياس جرجيس الصائغ . سنة ١٧٤٧ مسيحية » .

وفي الغرفة الاولى التي امام الكنيسة قبر توفي صاحبه في شهر تشرين الاول من سنة ١٨٧٣ مسيحية .

واجهة الكنيسة

تظلل واجهة الكنيسة أروقة يسندها عامودان . وللكنيسة بابان مقندلان ومزينان بنقوش مقرنصة وازهار وأشكال هندسية وكتابات بأحرف كلدانية .

تطالعنا على باب الرجال الكتابة الكلدانية التي ترجمتها « لتكن صلاة البتول مريم ام المسيح سوراً لنا ولتحفظنا من الشرير » . وبذيلها ما يأتي « تجددت هذه الكنيسة سنة ٢٠١٦ يونانية » ، أي سنة ١٧٠٥ م . ويليها بالقرشونية ، العبارات « بارك يا رب لهذا الهيكل الطاهر وضع فيه أمناً وسلاماً الى الدهر » . وبذيل القسم المقرنص من الباب ، عمودياً صاعداً ثم مستقيماً ثم عمودياً نازلاً ، نقرأ ما يلي « من اجل بنى له الله بيتاً في الارض . فكل من يريد ان ينظر الى الله فيأتي الى بيته . ادخلوا في ابوابه

بالشكر والى دياره بالمجد » . وتحت الكتابة الوسطية نجد مكتوباً « فهذا هـو باب الرب الصديقين يدخلون فيه . آمين » (٣٨) .

وقليلاً الى يسار باب الرجال من جهة الداخل الى الكنيسة ، على قطعة مرمرية حديثة العهد مبنية في الجدار ، نلقى الكتابة العربية التالية : « قد ترممت هذه الكنيسة وتبلطت داخلاً وخارجاً بنفقة الفقير توما ولد عبد الرحيم يوسفاني عن روح المرحومين أخويه الشماس عبد الكريم ومنصور ويسأل كل زائر ان يمده بالصلاة والرحمة بجاه الطاهرة مريم العذراء سنة ١٨٧٢ » .

ثم يأتينا باب النساء وهو شبيه بباب الرجال من حيث النقوش والزخارف ، غير ان مقرنصاته تختلف قليلاً وكتاباته أكثر انتظاماً ، ولا شك انه احدث عهداً من باب الرجال بقليل كما نستدل من تاريخه . نقرأ فوق المقرنصات الاولى كتابة كلدانية بخط كبير وأنيق ترجمتها العربية : « أحل ايها المسيح الملك امنك في هذا البيت » . وبأحرف صغيرة تعلو هذه الكتابة العبارة التالية : « واحفظ ساكنيه من الاضرار والشرير مبغض جنسنا » . وفوق هـذه الكتابة تاريخ بالقرشونية مقسم الى ثلاثة حقول . في كل منها أربعة أسطر ، استطعنا ان نقرأ منها ما يلي :

« في سنة ألف وسبعماية وأربعة واربعين مسيحية
تجددت بيعة العذراء مارت مريم الطوبانية
بعون الله وعناية أبا الآباء معمرا البيع مار إيليا
ومار ايشوعياب مطران جهة الفاضلة الشرقية
كانوا واقفين ومجتهدين وصاروا سبب عمارة هذه البيعة والبنية

---

(٣٨) ننقل هنا الكتابات القرشونية على علاتها ، أعني بأخطائها النحوية واللغوية وركاكة عباراتها .

المؤمنين الخيرين خواجا زكور وكيل البطرك مار إيليا
وخواجا عبد الاحد زكريا . . . ومار أدو
وأيضاً القسوس والشمامسة والعامية
صاروا الرجال مع النساء مشتركين في عمارة هل بنيه
الرب يعطيهم اجرا ثمين في ملكوت السماوية
بالصلوات مريم الشفيعة أم المسيح الطاهرة النقية » .

وتحت المقرنصات كتابة قرشونية عمودية صاعدة وافقية وعمودية نازلة ، هذا نصها : « هذا هو باب بيت الله . روح القدس به حاله . ادخلوا فيه بالعدالة . فتنالون

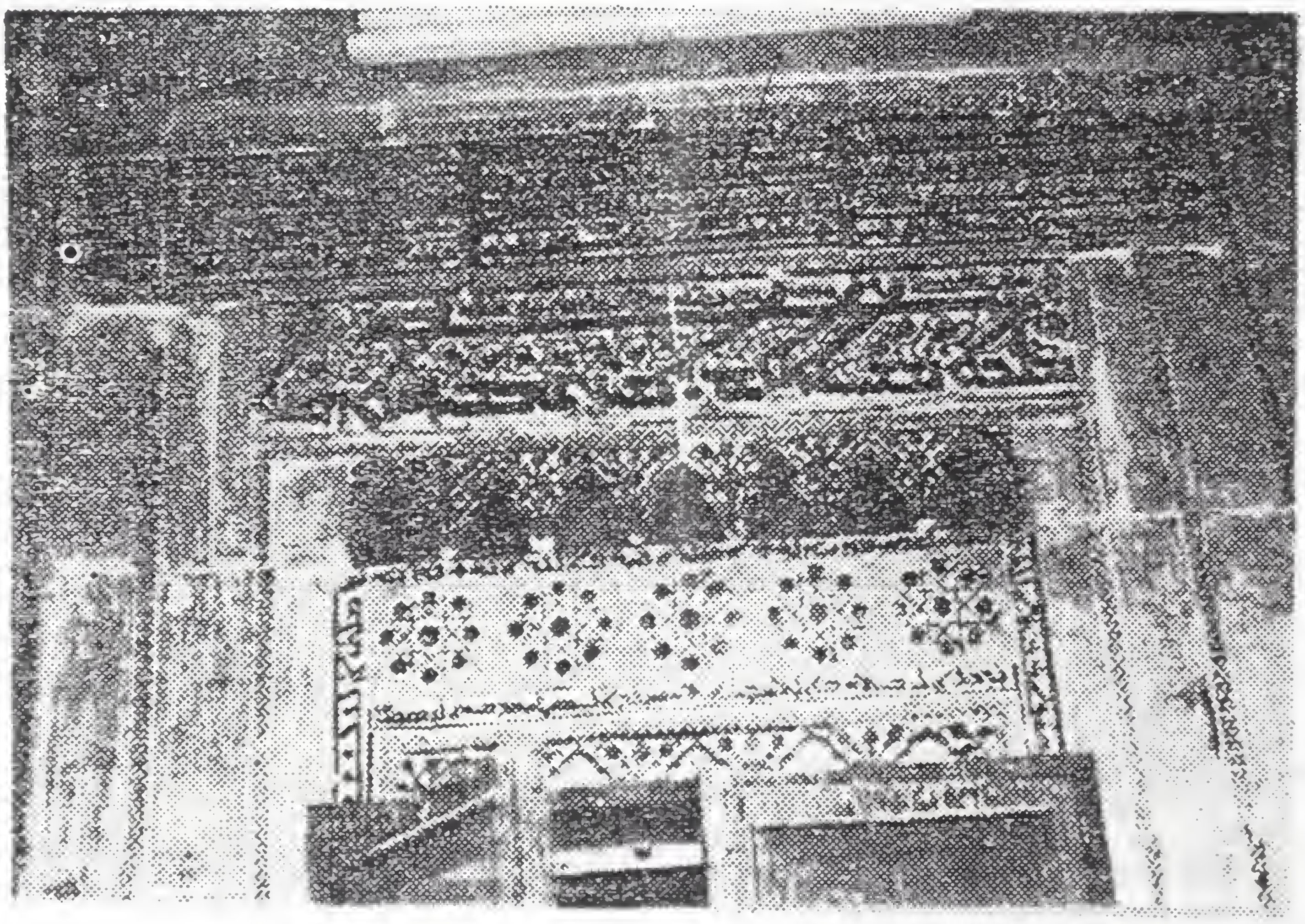

صورة لباب النساء الخارجي

ملك العلي » . وتحت الكتابة الوسطية نقرأ : « ندخل الى بيته بالتسبحة ونسجد الى موطىء قدميه المقدس » .

وقريباً من باب النساء قطعة رخام صغيرة نقرأ بالعربية ما نصه : « تبيضت هذه الكنيسة وترممت داخلاً وخارجاً بنفقةسليمان أفندي منصور خدور إكراما الى مريم البتول الطاهرة طالباً شفاعتها في الدنيا والآخرة سنة ١٩٣٢ » . ويلي هذه القطعة شباك مقرنص ومنقوش ، ولعله باب صغير قديم .

والى يمين باب الرجال باب صغير ذو زخرف ونقوش شبيهة بما نلقاه في البابين الآخرين ، وهو باب بيت العماذ . وكان قد سد أيام وضع في بيت العماذ تمثال سيدة لورد .

داخل الكنيسة

شيدت في بيت العماذ مغارة يتوسطها تمثال لورد ويجري الماء منها . وقد تبرع بالتمثال وبتكاليف المغارة الشماس سليمان خدور نفسه ، كما توضح ذلك كتابة منقوشة على قطعة رخام في اسفل التمثال ، حيث نقرأ بالعربية : « اقيم هذا تمثال سيدة لورد مع مشتملاته بنفقات الشماس سليمان منصور خدور اكراماً للبتول الطاهرة لنوال شفاعتها القديرة في الدنيا والآخرة سنة ١٩٤٨ » .

وقد رفع جرن العماذ من مكانه ولم يبق له من أثر . لكننا نلقى الى اليسار قطعة رخامية مكتوب عليها بأحرف كلدانية « ها هنا ميناث (ذخائر) مار كوريل الطوباني » ، تقابلها من داخل الكنيسة الحنية الاولى . وبعدها بقليل قطعة مرمرية كبيرة لم نلق عليها كتابة وهي في ظهر الحنية الثانية .

ولبيت العماذ باب آخر في الكنيسة في الجهة اليمنى للداخل اليها من باب الرجال، وليس من كتابة على هذا الباب ، كما هو الامر أيضاً بشأن الباب الخارجي لبيت العماذ. وفيه شباكان من الجهتين .

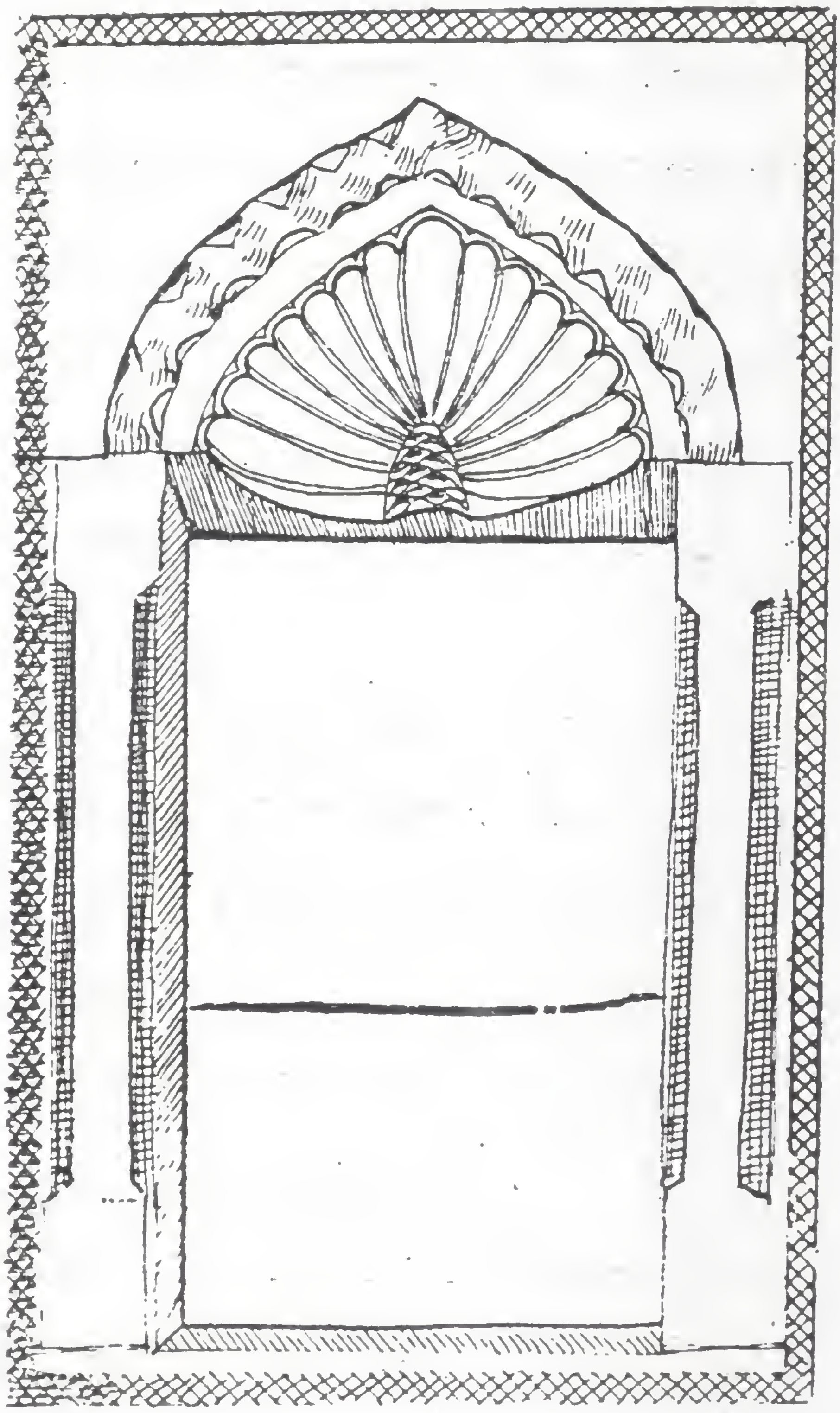

تخطيط للحنية الرابعة

يدخل الزائر الكنيسة فتطالعه الاعمدة الاربعة الضخمة التي تسندمناطق الكنيسة الست ، ثلاث مناطق من كل جهة يتوسطها عمودان . فالكنيسة تشتمل على صحن وسطي عرضه ٧ أمتار ، وجنحين صغيرين عرض كل منهما ٥ أمتار . أما طول الكنيسة فهو ١٤ متراً ، وعرضها ١٨ متراً . هذا عدا الهيكل الذي طوله ٦ أمتار وعرضه ٦ أمتار ونصف . فالكنيسة مربعة أكثر مما هي مستطيلة . وهذا أيضاً من الدلائل على ان هندسة الكنيسة قديماً كانت مختلفة عما هي الآن ولا سيما من حيث مساحتها طولاً .

يقع بيت العماذ الذي تكلمنا عنه ، الى شمال الهيكل ، وطوله ٩ أمتار ونصف ، وعرضه ٥ أمتار ونصف . أما عن شمال الهيكل فتقع السكرستيا ، وهي تبدأ بعرض مترين ونصف ثم تتسع في نهايتها حتى تصبح بعرض ٧ أمتار ، وطولها ٦ أمتار . يليها بيت الشهداء (بيت سهدي) أو بيت القديس كما يسمى ، وعرضه ٤ أمتار وعمقه متران و ٨٠ سنتيمراً .

وبين بيت العماذ والهيكل في الكنيسة ، ثلاث حنيات ، تحيطها زخارف بديعة مختلفة . الاولى والوسطى منها مزخرفتان بصليب كبير ونقوش أخرى ، وتتوسط الثالثة قطعة رخامية لا نقوش عليها . وكذلك بين المذبح وبيت الشهداء حنيتان أخريتان ، الرابعة والخامسة ، تختلفان في زخرف قوسيهما عن زخارف الحنيات الباقية ، وليس من نقوش في وسطيهما ، وثمة حنية سادسة تتوسط بيت الشهداء ذات زخارف ونقوش ، وفيها وضعت صورة للعذراء يجلها المؤمنون كثيراً .

قلنا ان هناك قطعة مرمرية في ظهر الحنية الاولى ، قريباً من باب بيت العماذ المؤدي الى الكنيسة ، تشير الى وجود ذخائر مار كبرييل في الجدار ، وان الثانية ، في بيت العماذ أيضاً ، لا أثر يدل عليها سوى قطعة مرمرية كبيرة لا كتابة عليها . اما داخل الهيكل ، في الجدار الذي يتوسطه الباب الكبير ، فنجد من الشمال واليمين

قطعتين رخاميتين هما في ظهر الحنيتين الثالثة والربعة ، تحمل الواحـــدة كتابة كلدانية هي : « هـا هنا ميناث مار ابراهام الطوباني » ، ونقرأ على الاخرى ما ترجمته : « هنا ميناث قديسين » . اما الحنية الخامسة فكانت قطعة ذخائرها في جدار السكرستيا ، قريباً من الباب ، ولا يزال أثرها واضحاً ولكنها قـــد سقطت قبل سنين ولا علم لنا بمصير الذخائر . واما الحنية السادسة التي تتوســـط بيت الشهداء ، فقطعتها داخل السكرستيا أيضاً ، منقوش عليها بالقرشونية ما نصه : « ها هنا ميناث مارت مريـــم الطوبانية » . وهذا ما يفسر تعلق المؤمنين الشديد بزيارة هذه الحنية أكثر من سواها (٣٩) .

---

(٣٩) في ١٩٦٩/٢/٢٤ قصد سيادة المطران عمانوئيل ددي كنيسة الطهرة مع لفيف من كهنته ، وهناك ، تحت إشراف الأب يوسف حبي ، ازيلت القطع المرمرية التي في الجدران المقابلة للحنيات الست من الداخل ، وكشف عن النواويس التي تضم الذخائر المقدسة الغنية بها كنيسة الطهرة .

فرفع من جدار الحنية الاولى ، وهو في بيت العماذ ، صندوق مرمري يحتوي على عظام لمار كبرييل الذي على اسمه عمر الدير الأعلى ، كما تشهد بذلك قطعته المرمرية . أما في جدار الحنية الثانية ، أي في بيت العماذ أيضا ، فقد وجد صندوق مرمري آخر يحتوي على عظام وإناء خشبي مفتوح ملآن عظاماً ورفاتاً ، وهي من دون كتابة ايضاحية ، فاعتبرت عظام وذخائر قديسين وشهداء . ووجد في جدار الحنية الثالثة، الى يمين الهيكل، صندوق مرمري آخر ومعه قطع خشبية تمتاز إحداها بكونها واجهة لصندوق خشبي طوله ٦٠سم وعرضه ٢٠سم، لعله كان يضم فيما سلف الذخائر المحفوظة الآن في الصندوق المرمري ، وهي لمار ابراهام الذي باسمه أيضاً عرف الدير الأعلى . وعثر في جدار الحنية الرابعة ، الى يسار الهيكل ، على صندوق مرمري مدور الشكل يضم ذخائر قديسين كما تشهد بذلك كتابته . أما الحنية الخامسة ، وجدارها بقرب باب السكرستيا ، فلم يلق فيهـا غير آثار ناووس فارغ . وتم العثور في الحنية السادسة ، وجـــدارها داخل السكرستيا أيضاً ، على صندوق مرمري آخر يحتوي على ذخائر لمريم العذراء كما تشهد الكتابة على ذلك .

وخشية أن نمس هذه الذخائر الكريمة أثناء ترميمات الكنيسة الداخلية ، فقـــد حملت ملفوفة الى دار المطرانية لتبقى هناك حتى يكتمل الترميم فتعاد باحتفال الى مواضعها بعد ختمها كلها ، إذ ان ثلاثة فقط من الصناديق وجدت مختومة . ولن يكون من اختلاف ما عدا كتابة قطعة في جدار الحنية الثانية لتدل على احتوائها لذخائر القديسين ، ووضع صندوق جديد يضم قسماً من هذه الذخائر في جدار الحنية الخامسة الفارغة حالياً وكتابة قطعة تشير الى وجود ذخائر قديسين في ناووسها .

وفوق باب الهيكل ، بخط قرشوني عريض وبديع نقرأ ما يلي « على مذبح القديس يكون ذكرانا وتزييح للبتول مريم والدة المسيح » . وضمن دائرتين منقوشتين نرى الدعاء « يا الله » و « يا قدوس » . وفوق الشباك الوسطي نجد بالكلدانية ما ترجمته « بك نظفر على اعدائنا » . وعمودياً صاعداً وافقياً ثم عمودياً نازلاً نلقى بالقرشونية العبارات التالية : « روح القدوس التي انزلت يا ربنا من سداك / بغرفة صهيون عليت لتلاميذ بني اسرارك / فهبت في هذا بيت قدس اقداسك / على الحاضرين طالبين رحمتك مخلصين » . وتحتها بالكلدانية ما تعريبه : « اذهب كل يوم الى بيت الرب واسجد أمام المذبح وقبل هامة الصليب وصل خافتاً ابانا الذي في السموات » . وتحتها بالقرشونية : « بصلاة العذراء الطاهرة مريم شر لمدينتنا لا يقدر . تشفع لنا عند الرب الاعظم . تتخلص ذرية آدم » .

ان واجهة الهيكل هي واسعة وعالية وذات نقوش مقندلة ومخرمة ، وكتابات منها قديمة ونادرة ، ومنها احدث عهداً وركيكة اللغة ، وقد نقلناها على علاتها . والواجهة بأكملها من المرمر ، يتوسطها شباك خشبي وشباك آخر مفتوح . ويغلق باب الهيكل الكبير ذو الافاريز والمقرنصات بباب خشبي بدلاً من الستار ، وذلك بموجب الاستعمال الطقسي القديم . وتقوم أمام الباب عارضتان ، لكل منهما وجهان من رخام بديع النحت والنقوش ، وهما لا شك من أثمن ما في الكنيسة ، فمادتهما قديمة ، وبالرغم من الفرق الموجود ما بين عارضة اليمين والشمال ، فزخرفهما يشتمل على صلبان مثمنة أو مربعة ونجوم سدسية . أما استعمالها الطقسي فهو للصلوات التي يتلوها الشماس أو الكاهن اثناء قداس المؤمنين ، وليس للقراءات التي تتلى خلال قداس الموعوظين ، كما هو شائع الآن ، لأن قداس الموعوظين ، بما فيه القراءات ، كان يقام فيما مضى على مذبح البيم

الذي كان يتوسط عادة صحن الكنيسة . نقرأ على العارضة الاولى بالكلدانية ما تعريبه : « نسجد اللهم للاهوتك وسيادتك بغير انقسام » . وعلى الثانية : « أسجد لك في هيكل قدسك واعترف باسمك » .

لا يوجد داخل الهيكل ما هو جدير بالذكر ، فالمذبح بسيط والقبة صغيرة وارتفاعها بعلو سقف الكنيسة الوسطى . وقد اضيف مذبح صغير بسيط أمام بيت الشهداء ، في الجدار المطل على نهر دجلة ، ويعود هذا المذبح الى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، يتوسطه تمثال للسيدة مريم العذراء . وفي صدر الكنيسة بازاء بيت الشهداء صورة كبيرة للعذراء المنتقلة السماء من رسم يوسف الصائغ ، وقد كانت موضوعة سابقاً في الجدار الذي في مدخل الكنيسة ، وقد احتلت محل صورة للانتقال من صنع ايطاليا دشنت عام ١٩٥٣ وهذه أيضاً أخذت محل صورة قديمة للانتقال ، حتى ان البعض يسمون كنيستنا باسم عذراء الانتقال ، بينما لقبها الرسمي القديم هو ، كما رأينا ، كنيسة العذراء الطاهرة مريم .

يقوم في مؤخرة الكنيسة البيم ، أو المصطبة التي كان يقام عليها قديماً القسم الاول من طقس القداس ، في صحن الكنيسة ، ليتاح لجميع المؤمنين الاشتراك بنوع فعال في رتبة كلام الله . اما لماذا يقوم البيم اليوم في مؤخرة الكنيسة فلذلك رأيان : رأي يقول بان البيم كان في صحن الكنيسة ثم أبعد حتى المؤخرة لأن الكلدان لم يعودوا يقيمون القسم الاول من القداس عليه كما كانوا يفعلون في السابق ، بل صارت مراسيم القداس تجري كلها في الهيكل أو على المذبح . ويستشهدون على ذلك ببيم كنيسة دير مار كوركيس القديمة ، الذي كان أولاً في وسط الكنيسة ، ثم ازيح حتى المؤخرة ثم رفع نهائياً من الكنيسة . أما الرأي الآخر ، وهو المنوه عنه سابقاً ، فيقول بان البيم هو في محله الاصلي

ولكنها الكنيسة قد تغيرت ، اذ كانت سابقاً تمتد طولاً بحيث يقع البيم في وسطها تقريباً ويستشهدون بطولها القليل نسبة الى عرضها . ومهما يكن من أمر فالبيم الحالي هو مجدد عام ١٩٦٨ ، ولكنه قد تجدد على نفس الشاكلة التي كان عليها قبل هذا التاريخ ، وقطعه القديمة المنقوشة والمكتوبة لا تزال محفوظة داخله . طول البيم ٦ أمتار ونصف وعرضه

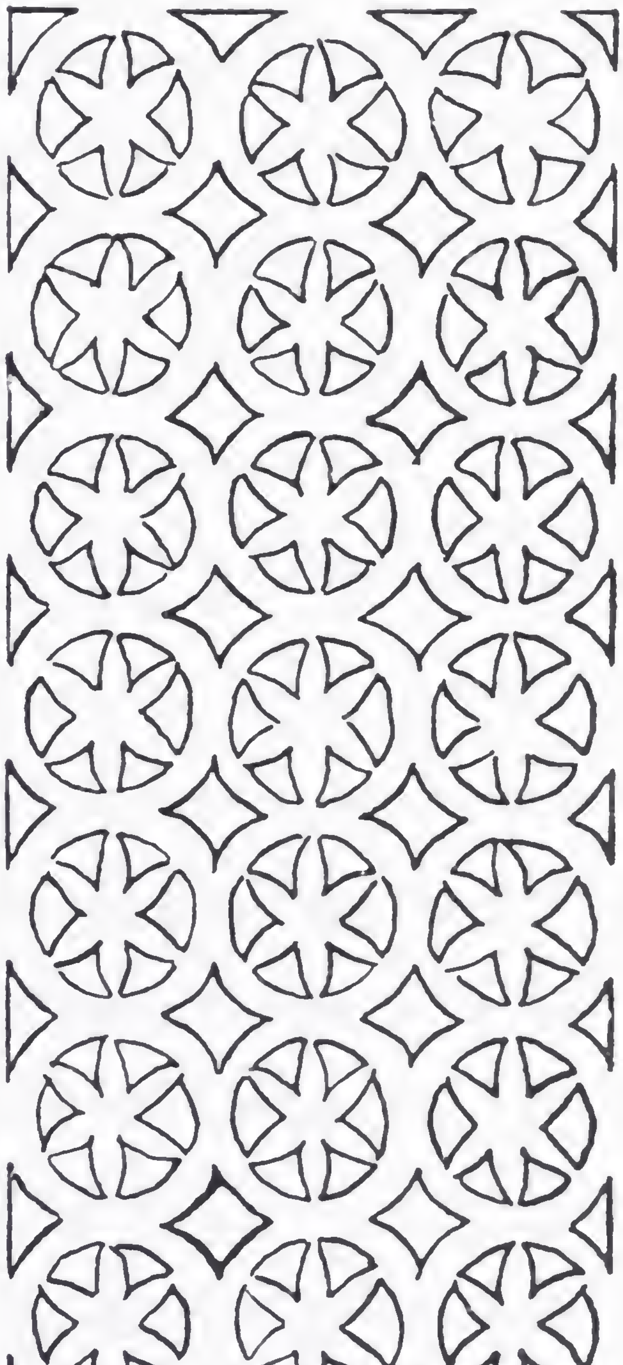

تخطيط لوسط العارضة التي في الجهة اليسرى من الهيكل

متر ونصف ، ويعلو عن الارض بخمس درجات فيكون ارتفاعه ١٧٠ سم . تتوسطه في الجدار الخلفي حنية صغيرة جميلة النقوش وقديمة العهد . ويرتفع من كلا الجانبين عمود مثلث الاوجه ارتفاعه ١٢٠ سم ، مكتوب على كل وجه منه بيت من الصلاة الاولى وبيت من الصلاة الثانية باللغة الكلدانية . وتعريب الصلاة الاولى هو : « بطرس وبولس / ومتى ومرقس / ولوقا ويوحنا / لتكن صلاتهم / سوراً لانفسنا / الآن وفي كل زمان ». واما الصلاة الثانية فهي « في أعلى الجلجلة / رأت الكنيسة / المسيح / فركعت وسجدت / له وأدت المجد / لمرسله » .

وفي أعلى جدران صحن الكنيسة نقوش جبسية بديعة ، كما اننا نلقى في الكنيسة عدة دوائر مرمرية مزخرفة على شكل نجمات مثمنة ومثلثة الرؤوس ، تتوسطها نجمات مثمنة أخرى أكثر بساطة (٤٠) .

التجديدات

ان أول ذكر لتجديد كنيسة الطهرة منقوش على باب الرجال ، وهو كما رأينا يعود الى سنة ١٧٠٥ أي الى قبل حصار طهماسب لمدينة الموصل بسبع وعشرين سنة . لكننا لا نعرف من الذي قام بهذا التجديد الذي تم في عهد علي باشا والي الموصل . وليس من المستبعد ان يكون قد سعى بهذا التجديد البطريرك ايليا المتوفي سنة ١٧٢٣ والذي كان يقطن آنذاك دير الربان هرمزد والقوش ، بهمة مطران الموصل والقيمين

(٤٠) لوصف الكنيسة وكتاباتها قمت بمحاولات شخصية فقرأت ما تيسر لي من الكتابات وأجريت المقاييس الدقيقة . انظر الخرائط والصور المرفقة بالكتيب . كما وفي الامكان ايجاد وصف للكنيسة مع ذكر لكتاباتها ، وإن بصورة أقل دقة ، في : تاريخ الموصل ، للصايغ ، الجزء ٣ ، ص ١٣٠-١٣٣ . وأيضاً في : الموصل المسيحية ، للأب فيي ، ص ١٣٢-١٣٥ .

على أمور الاوقاف الكلدانية وكنيسة الطهرة في تلك الآونة . ولعل التجديد هذا لم يكتمل تماماً حين غزا طهماسب الموصل ، أو ان الكنيسة اصابها الاذى من جراء حصار طهماسب الاول والثاني . اذ اننا نعرف من الكتابة المنقوشة على باب النساء بأن تجديداً ثانياً قد صار لكنيسة الطهرة وذلك عام ١٧٤٤ ، واليه خاصة تعود الكنيسة بهيئتها الحالية.

ان سنة ١٧٤٤ هي مهمة بالنسبة الى كنائس الموصل ، ففيها قد تجددت كل من كنيسة الطهرة التحتانية ، وكنيسة الطهرة الفوقانية ، وكنيسة الطهرة التي في القلعة ، وكنيسة مار توما للارثوذكس . والسبب هو ان حسين باشا الجليلي ، والي الموصل ، لما رأى استبسال المسيحيين أثناء حصار الموصل ووقوفهم جنباً الى جنب واخوانهم المسلمين في وجه العدو الغازي ، ولما كانت بعض كنائسهم قد تهدمت بسبب الحرب ، وغيرها قد تداعت لمرور الزمن عليها . سمح لهم بل وشجعهم على ترميم كنائسهم وتجديدها ، اسوة باخوانهم المسلمين الذين راحوا يجددون جوامعهم ، وبقية الاهالي الذين اندفعوا يشيدون ما تهدم من بيوتهم (٤١) .

تذكر القطعة المرمرية التاريخية لتجديد سنة ١٧٤٤ اسماء الرجال الذين بهمتهم اكتمل بنيان الكنيسة ، وهم البطريرك مار ايليا الذي ساس كنيسته الكلدانية من سنة ١٧٢٣ وحتى عام ١٧٧٠ ، والمطرن ايشوعياب ابن أخيه وحافظ أو ناطور الكرسي البطريركي ، والذي سيخلف عمه على الكرسي . ثم زكريا الصائغ وابنه عبد الاحد اللذن جادا بمالهما وساهما كثيراً في تشييد الكنيسة فاستحقا المديح ببيت شعر ضمن قصيدة خص بها الشاعر حسن عبد الباقي المذكور والي المدينة الشهير حسين باشا الجليلي ، اذ قال :

---

(٤١) انظر الملحق عن حصار طهماسب للموصل .

امواله صح في التاريخ جاد بها جوزيت يا زكريا الاجر من عيسى

وعبد الاحد زكريا الصائغ هو والد المطران شمعون الذي لقينا قبره في نهاية الايوان بالقرب من باب الرجال . وللعائلة قبر آخر يعود الى سنة ١٧٤٧ كما ذكرنا آنفاً .

اما القطعة المرمرية التاريخية التي تتوسط البابين الخارجيين فتدلنا على ترميم جزئي وتبليط داخلي وخارجي جرى عام ١٨٧٢ ، وقد تبرع بذلك توما عبد الرحيم يوسفاني ، وقبور آل يوسفاني في كنيسة الشهيدة مسكنتة بالقرب من باب الرجال .

وتشير القطعة المرمرية الاخرى الى ترميم سنة ١٩٣٢ ، وهو أيضاً جزئي وتبليط داخلي وخارجي ، تبرع بنفقاته الشماس سليمان منصور خدور المتوفي في ١٩٦٨/١/٨ ويعلو قبره تاريخ في فناء كنيسة الشهيدة مسكنتة (٤٢) .

وفي العامين ١٩٣٥ و ١٩٣٦ جمعت التبرعات من المؤمنين لاحاطة كنيسة « البتول الطاهرة » وارضها بجدران على أثر النزاع حول القطعة رقم ٤٠٥ بعد ان ربحتها الطائفة الكلدانية ضد عزيز خاتون وموكلها جمال المفتي . وقد اكتمل بناء السور سنة ١٩٣٥ . ونلقى كراسة مطبوعة عدد صفحاتها ٢٨ بعنوان « جدول التبرعات والنفقات لكنيستي البتول الطاهرة وشمعون الصفا بالموصل - ١٩٣٥ - ١٩٣٦ المطبعة الكلدانية بالموصل » (٤٣) .

جرى الترميم سنة ١٨٧٢ في عهد البطريرك يوسف اودو ، وتم ترميم ١٩٣٢ واقامة الجدران عام ١٩٣٥ على عهد البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني .

وفي بداية عهد البطريرك يوسف غنيمة ، أي في سنة ١٩٤٨ ، تبرع الشماس

---

(٤٢) انظر خبر التبرع في النجم ٥ (١٩٣٣) ص ٤٣ .

(٤٣) انظر خبر تشكيل اللجان لغرض تجديد الدار الخارجية وإدخالها على الكنيسة في النجم ٧ (١٩٣٥) ص ٧٣-٧٤ .

المذكور سليمان منصور خدور بتشييد شبه مغارة لورد العجائبية ونصب وسطها تمثال العذراء المحبول بها بلا دنس اصل ، في الجانب الايسر من بيت العماذ . وكان المعاون البطريركي يومذاك المطران اسطيفان كجو .

وفي مطلع عام ١٩٦٨ عين راعي ابرشية الموصل المطران عمانوئيل ددي الاب يوسف حبي مسؤولاً عن خدمة كنيسة الطهرة الروحية ، فشكل هذا الاب لجنة لترميم الكنيسة وتجديدها ، ترأسها المطران الآنف الذكر ، وكان اعضاؤها القس المذكور والسادة يوسف هرمز وسهام حبابة وفخري خلف ويعقوب رسام وحازم جرجيس وحربي هرمز ، وبعد وفاة الاخير تعين الاب بطرس يوسف عوضاً عنه . فاستحصلت اللجنة طلباً من متصرفية اللواء لغرض جمع التبرعات ، وراحت تعمل بكل غيرة لتأمين المبالغ الضرورية ، يساعدها في ذلك الآباء كهنة الجماعة وأشخاص عديدون آخرون ، ووضعت العذراء الطاهرة وزنة السخاء في أكف بنيها فراحوا يجودون لبيتها ويقصدونها أحياناً هم بانفسهم حاملين تبرعاتهم ، بينما كان العمل قد بدأ في مطلع حزيران تحت اشراف المهندس فريد مطلوب وهمة المعمار كامل حنا الاسود والنحات بهنام نعوم هندوش . فرفعت الاثقال عن السطوح ، وكانت قد ثقلت بكوم الجص ، آخرها ما قام به البناء جليل حداد في عهد المطران سليمان الصائغ سنة ١٩٥٧ . وبعد ان سويت السطوح اقيمت صبات سمنت أربع ، الاولى شبه دائرية فوق عقدة الجنح الوسطي ، والثانية والثالثة فوق الجنحين الصغيرين ، والرابعة فوق غرفتين واسعتين قائمتين ، الاولى فوق بيت العماذ ، والثانية فوق السكرستيا وبيت الشهداء ، يتوسطها ممر وشرفة ، في مؤخرة الهيكل فوق المذبح الداخلي . وقد رفع حائط الكنيسة الخارجي بقطع رخام (حلان) ، وبروز المذبح نصف متر عن بقية الجدران ، جعل المشرفون يعملون على اقامة مدرج

رخامي يعلوه نصب بديع النحت والنقش يضم تمثال العذراء مطلة على الفناء والحديقة ، هذا التمثال الذي كان قد جلبه المطران سليمان الصائغ لينصبه فوق مسلة تتوسط فناء الكنيسة الخارجي (٤٤) . اما حيطان الكنيسة الاخرى فقد جردت حتى الحجر وبنيت بالحجر والسمنت . بينما تجددت معظم الحيطان والسقوف الداخلية بالجص ماعدا القسم الواطيء منها حيث ازيلت الاقسام التي نخرتها الرطوبة وبنيت بالحجر والسمنت ثم طليت بالجص . ولما كانت قبة الهيكل الصغيرة قد اختفت تماماً ، فقد وسعت من الخارج وشيدت بالرخام بشبابيك اثني عشر . ونظراً لانسحاق قطع البيم المرمرية فقد تجدد برمته مع الحفاظ على صيغته الاصلية وقطعه المنحوتة والمكتوبة . وازيلت الدهونات والاوساخ عن النقوش والكتابات ، وصبغت الضرورية منها بالاسود لتبرز للعيان ، وفي النية تبليط صحن الكنيسة بالمرمر بعد منع الرطوبة عنها بوضع طبقة من السمنت ، كما وامام القائمين بالعمل مشروع ضخم بازالة الغرف التي امام الكنيسة وتنظيم مدخل جميل يضفي رونقاً على الكنيسة ويرفع من قيمتها الفنية ، وترتيب جديد للحديقة التي كان قد تعب فيها كثيراً الاب افرام رسام . ومن يزور كنيسة الطهرة اليوم يستطيع ان يلمس جهود اللجنة في المحافظة على كل ما هو أثري من جهة ، وتجديد الكنيسة بنوع متين وعصري من الناحية الاخرى . وستصدر كراسة يذكر فيها بالتفصيل تبرعات الاسخياء الذين جادوا بأموالهم والاشخاص الذين تعبوا كثيراً في انجاز هذا المشروع العظيم حباً بمريم امهم وحفاظاً على كنيستها العجائبية التي لها في قلب كل منهم ذكرى حبيبة .

---

(٤٤) قام سيادة المطران عمانوئيل ددي رئيس أساقفة الموصل على الكلدان بازاحة الستار عن التمثال هذا في ١٩٦٩/٣/٩ بعد قداس الهي أقامه مساء ذلك الأحد وعقيب احتفال ديني شيق اشترك فيه عدد كبير من المؤمنين يوم موسم الطهرة .

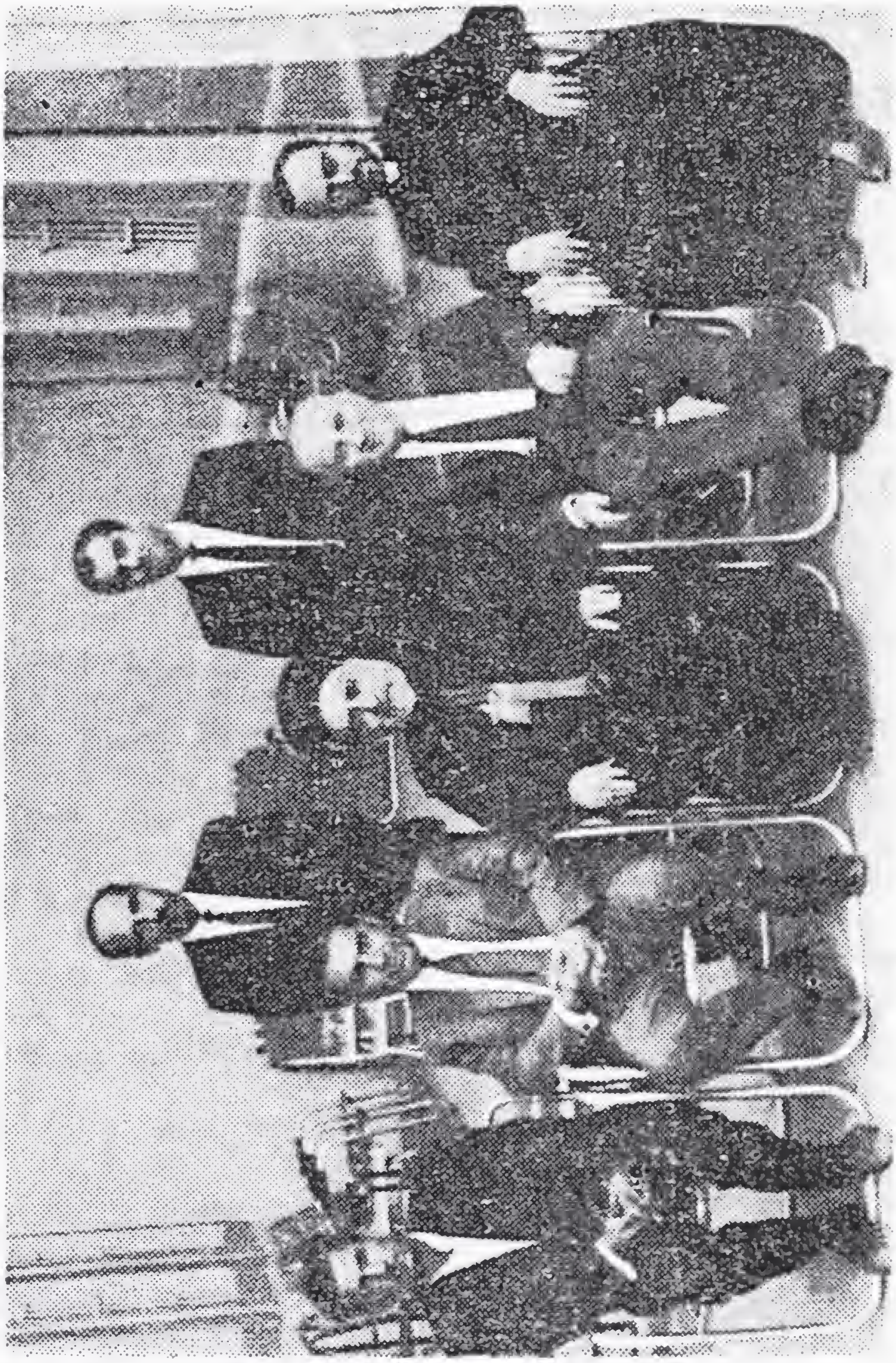

صورة لأعضاء لجنة الترميم سنة ١٩٦٨

ملحــــق

مريم العذراء وغزو طهماسب للموصل

التقليــــد

يتناقل أهالي الموصل وغيرهم خـــبر عجيبة ينسبونها الى العذراء الطاهرة مريم صاحبة كنيسة الطهرة ، مفادها ان القديسة مريم صدت طهماسب وعساكره ابان محاصرتهم مدينة الموصل في منتصف القرن الثامن عشر ، فردتهم على اعقابهم مخذولين ولم تدعهم يقهرون الاســـوار والقلعة القريبة من مزارها العجائبي ، ويفتكون باناس طلبوا حمايتها وشفاعتها . حتى ان صاحبة الكنيسة أخذت تلقب من ذلك الحين بالمحامية أو المدافعة عن المدينة .

والى القارىء خبر العجيبة كما يصفها الاب لوريول في كتاب « الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق » ، المطبوع ســـنة ١٩٠٢ ،نقلاً عن النائب البطريركي على الكلدان في بيروت والشام آنذاك ، الخوري يوســـف تفنكجي ، فيقول المؤلف تحت عنوان « كنيسة الحبل بلا دنس في الموصل وزيارتها » ما نصه :

« يعلم الكل ان الموصل من أخص مدن بلاد ما بين النهرين على الجهة اليمنى من دجلة تبعد عن بغداد ثلاث مائة وستين ميلاً تقريباً . ففي سنة ١٧٤١ حاصر هذه المدينة نادر شاه قائد سلطان العجم وزعيم عبيده ، فعسكر على الشاطىء المحاذي لها وصمم النية على فتحها قسراً فأخذ يستعمل جميع الحيل ويضربها بالقنابل ليدمرها فأوشكت ان تسقط ولكن الله جل جلاله شاء حينئذ ان يظهر قدرة سلطانة السماء باعجوبة باهرة أجراها على يد هذه البتول الطوباوية واليك كيفية الخبر :

« كان على مسافة قريبة من المدينة اطلال دير على اسم مار جبرائيل سكنه في غابر القرون اربعمائة راهب . فبينما كان سكان المدينة من مسلمين ومسيحيين في تلك الحالة الحرجة اذ عاينوا فوق رسوم كنيسة الدير سيدة آية في الحسن والجمال تحدق بها الانوار الساطعة وهي مادة يديها القويتين في وجه المحاصرين . فلما نظر نادر شاه وقومه الى هذه المشهد رفعوا الحصار وولوا الادبار . ومن اذهل المعجزات انه رغماً عن شدة الحصار وتواتر اطلاق المدافع على المدينة لم يمتل من أهل الموصل رجل واحد . فمن هاتين الحادثتين حقق الجميع حتى المسلمون انما حدث انما جرى بمعجزة ظاهرة باهرة حتى ان حاكم الموصل المسلم سمح للمسيحيين بل أمرهم ان يرمموا كنيسة الدير الذي كان المسلمون قد احتبسوها وضبطوها في غزواتهم وافتتاحاتهم السالفة وأضاف الى ذلك انه وهب المعبد الجديد أرضاً تبلغ مساحتها أربعين ذراعاً من كل جهات الكنيسة . وهذا هو الباعث الى تشييد كنيسة الحبل بلا دنس في تلك الاصقاع فيذهب لزيارتها المسيحيون والمسلمون بلا خوف ولا خجل ولا حياء بشري وهم دائبون على ذكر بواعث هذه الزيارة وتكرار قصتها الغريبة » (٤٥) .

(٤٥) الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق ، للأب لوريول اليسوعي ، عربه المعلم يوسف جرجس ابو سليمان المتيني الماروني ، بيروت ١٩٠٢ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

والاب دومينيكوا لانزا قدم الى الموصل أول مرة بعد الحادثة بسنوات قلائل ، بعد ان يصف الواقعة يضيف قائلاً : « وعجيب انــه لم يقتل من أهالي البلدة الا نفر يسير جداً وقد نسب هــذا الظفر المدهش الى اعجوبة باهرة من العذراء مريم البتول فبنيت كنيستها وجعل لها وقف من أربعة اطرافها ٤٠ متراً عرضاً حولها » (٤٦) .

ويعلق القس (المطران) سليمان الصائغ على كلمات الاب لانزا هذه بقوله :

« وبالحقيقة ان هذا الانتصار كان عجيباً نظراً الى يأس الاهالي وضعفهم ونقص معداتهم بالنسبة الى قوة العدو العظيمة بالرجال الكثيرة والعدد الوفيرة ولهذا فقد نسب الحاج حسين باشا نفسه وقاطبة أهالي الموصل على اختلاف أديانهم انتصارهم الجليل الى شفاعة العذراء والقديسين الذين هدم هذا الطاغية هياكلهم ومعابدهم (...) وعليه فيروي سكان الموصل الى اليوم عن الاقاويل المأثورة انه شوهد من سطح كنيسة العذراء الطــاهرة اشخاص يحمون المدينة ويردون عنها القنابل مصوبينها الى جهة العدو ويؤيد ذلك الحس العام » (٤٧) .

وينوه القس بطرس نصري أيضاً الى هــذه العجيبة لدى تحدثه عن واقعة طهماسب ، فيقول : « وقد نسب هذه الغلبة كل المسلمين والنصارى الى حماية العذراء فأمر الحاج حسين باشا ان ترم البيعتان اللتان تنسبان اليها المعروفتان بالطاهرة على نفقاته » (٤٨) .

ونستنتج من هــذا كله ان مريم العذراء قد خلصت مدينة الموصل من الدمار

---

(٤٦) *Couronne de Rose, 12, 1907* ، انظر الصايغ ، تاريخ الموصل ، الجزء ١ ، ص٢٨٨ .

(٤٧) تاريخ الموصل ، الجزء ١ ، ص ٢٨٨ .

(٤٨) كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، الجزء ٢ ، الموصل ، ص ٣١٧ .

بظهور عجائبي لها جعل العدو يتراجع مخذولاً، فسمح الوالي للمسيحيين، على أثر هذه المعجزة، بتشييد كنيسة الطهرة، المسماة في أحد النصوص بكنيسة الجبل بها بلا دنس. بل وان الوالي أمر المسيحيين بذلك، ووهبهم أرضاً تحيط باالكنيسة من جميع جهاتها. فهل من صحة لهذا الحديث؟

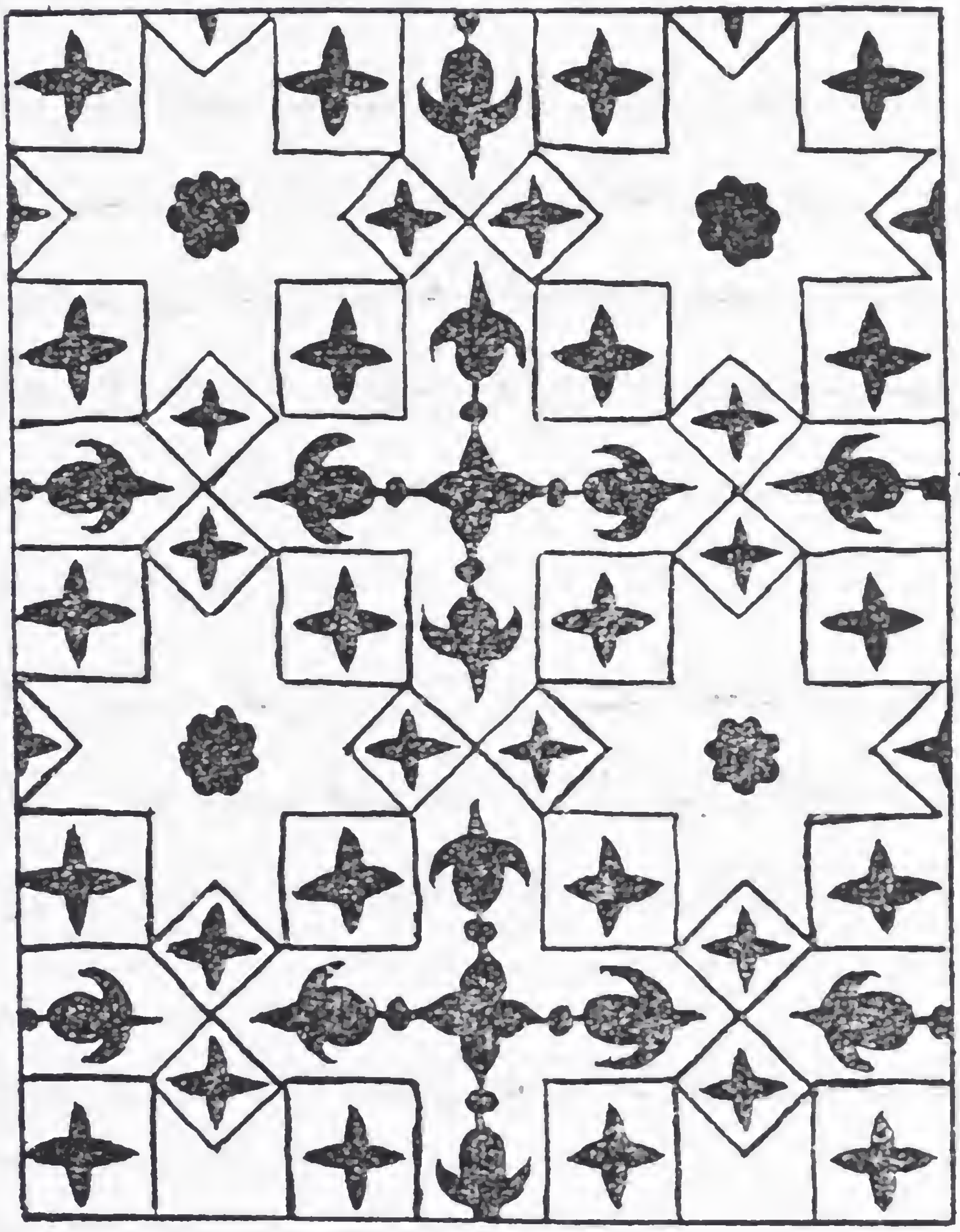

تخطيط للقسم الجانبي من العارضة التي في الجهة اليسرى من الهيكل

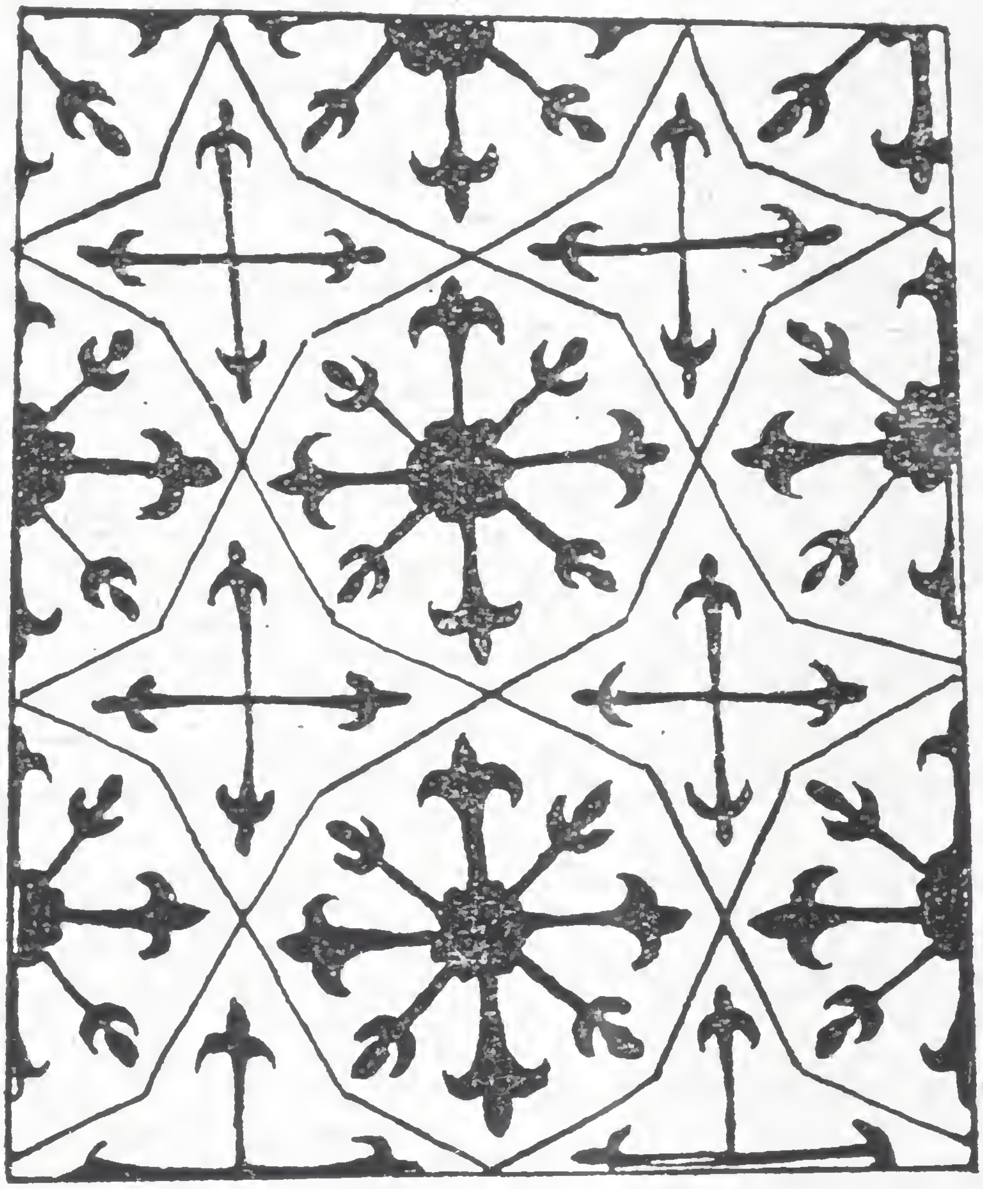

تخطيط للقسم الجانبي من العارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل

الشهادات التاريخية

لدى البحث في بطون التاريخ عن الحقيقة الثابتة بخصوص هـذه القضية ، نرى .ن طهماسب الثالث المعروف بكولي خان أو بنادر شاه ، بعد ان قام في الدولة الصفوية ، تحارب والسلطان محمود بن مصطفى الثاني ، فافتتح كركوك ثم بغداد وبعض المدن الاخرى ، ثم سير وزيره نركس خان بجيش يبلغ عدده ثمانية آلاف جندي الى الموصل ، ولكنه

عاد وقد خذله شكيمة أهالي الموصل ، وكان ذلك ١٧٣٢ .

غير ان طهماسب لم يكف عن الحرب ، فجهز عساكره مرة ثانية وقدم ، سنة ١٧٤٣ ، الى البصرة والحلة والقرنة ففتحها ، ورفع الحصار عن بغداد على أمل العودة اليها بعد فتح الموصل ، واخذت عساكره تنتشر في قرى الموصل ، بما فيها تلكيف وباطنايا وتللسقف والقوش وبرطله وكرمليس وقرهقوش، فتعيث فساداً وتقتل وتسبي وتنهب وتخرب الاديرة والكنائس والمعابد والبيوت ، وقرب طهماسب وجنده من المدينة ، فجمع واليها الحاج حسين باشا الجليلي ومحافظها حسين باشا القازوقجي أهالي الموصل في الجامع الاحمر وقرأ عليهم نص رسالة الطاغية طهماسب ، التي فيها يتهدد ويتوعد فأجابوه باستعدادهم على الدفاع عن النفس حتى ولو اضطرهم الى الحرب وسفك الدماء ، فانقلبت المدينة الى ميدان حرب ، وراح الاهالي يستعدون للذود عن مدينتهم ، من كبيرهم الى صغيرهم ، ومن شريفهم الى حقيرهم . فدارت بين الفريقين حرب طاحنة بالقرب من يارمجة ، قتل خلالها أحد قواد فرسان نادر شاه واسمه جيلو خان. ثم التزم أهالي الموصل الحصار واثقين ان الله سيمدهم بالنصر حتى كان اليوم السادس فأخذت مدافع العدو تطلق القنابل على المدينة ، وقيل انه اطلق أربعين ألف قنبلة ، واشتد الحصار في منطقة باشطابية وباب سنجار ، فكانت في أكثر من مناسبة تخور عزائم الاهالي ويحسون باليأس لدى حدوث تصدع في الأسوار ، غير ان الوالي الهمام كان يستحثهم الهمة ، فدامت الحرب أياماً كثيرة ، ويئس طهماسب فرفع الحصار عن المدينة مؤقتاً . وعندما عاد اليها وجدها قد قويت واستعدت أكثر من السابق ، فجرت حرب شديدة بين الفريقين أسفرت عن مقتل جنود كثيرين من عساكر الغازي طهماسب ، فطلب الصلح ورحل عن المدينة (٤٩) .

---

(٤٩) انظر وصف هذه الأحداث في تاريخ الموصل ، للصايغ ، الجزء ١ ، ص ٢٧٣-٢٨٧ .

وقد لخص هذا الحادث الاب لانزا المذكور بقوله :

« خيم طهماسب نادر شاه ازاء الموصل على الضفة اليسرى من دجلة على قمة تل مجاور لنبي الله يونس وصوب على المدينة ١٦٠ مدفعاً و٢٣٠ مرمية (هاون) وكان أهالي الموصل شديدي العزم قد حلفوا على الدفاع الى آخر رمق من الحياة وأقسموا على ان يقتلوا النساء شهامة اذا تمكن الفرس من المدينة . أما الاعجام فانهم حاصروا المدينة حصاراً شديداً إثنين وأربعين يوماً ألقوا في مدتها ما ينيف على أربعين ألف مرمية وهجموا خمس هجمات شديدة على الأسوار فدفعهم جند الموصل بشجاعة عظيمة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وبعد ان أقام الاعجام كل هذه المدة ولم يفلحوا بشيء رجعوا عن المدينة خائبين وقد فقدوا رجالهم ومؤنهم . وعجيب انه لم يقتل من أهالي البلدة الا نفر يسير جداً » (٥٠) .

ونلقى وصفاً للواقعة في هامش مخطوط كنسي محفوظ في كنيسة الطاهرة في قره‌قوش سجله القس حبش بن جمعة سنة ٢٠٥٧ يونانية (١٧٦٦ م) ، فقال :

« في سنة ٢٠٥٤ يونانية (١٧٤٣ م) قدم الى هذه البلاد طهماسب ملك الفرس بعساكره فنهبها وسلب الكتب التي كانت موجودة قبل هذه » . وبعد ان يتكلم عن استيلاء طهماسب على كركوك وقرى الموصل ، يتابع القول : أما ملك الموصل المذكور فتذرع بالشجاعة والبسالة هو وبنوه وذووه مع كبار المدينة واحكموا غلق أبواب المدينة

---

(٥٠) *Couronne de Rose, 12, 1907* ، في : تاريخ الموصل ، للصايغ ، الجزء١ ، ص٢٨٨ ، وانظر أيضاً وصفاً للحادثة له في: الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا ، ص٣٧-٣٨ ، حيث يقول أيضاً بأن عدداً كبيراً من العرب والأكراد والأتراك ومن نصارى القرى المجاورة للموصل لجأوا اليها وتحالفوا على الدفاع عنها تحت ادارة حسين باشا وغيره من السادة الجليليين . دام الحصار ٤٢ يوماً وأطلق الفرس نيفاً وأربعين (كذا) قنبلة وضربوا الحصون ولكن بغير نظام ففقدوا كثيراً من رجالهم ونفذت مؤنهم فرجعوا يجرون أذيال الخيبة الى بلادهم .

بشجاعة . وأمر الملك جمع سكان المدينة من المسلمين والمسيحيين واليهود قائلاً : ان استعدوا للحرب برباطة جأش واجتهاد . فقام جميعهم سوية واعدوا سلاحهم ونصبوا المجانيق اعني المدافع فوق أسوار المدينة وصاروا يحافظون عليها باحتراس ليلاً ونهاراً . وبعد عشرة أيام وصل الملك طهماسب مع عساكره مثل جنادب وجراد لا يحصى عددها وأحاطوا بالمدينة احاطة المنطقة . فوقع خوف ورعب عظيمان على المدينة . . . ان هذا الطاغية أعد معداته بدقة : نصب المجانيق والمدافع مقابل المدينة . وفي يوم عيد الصليب (١٤ أيلول) باشروا باطلاق النار ، فأطلقوا المجانيق أولاً لكن سدى . حينئذ اخذوا يلقون القنابل واستمروا مدة تسعة أيام بدون انقطاع لا في الليل ولا في النهار . ووهب الله أهالي الموصل الذين كانوا يحافظون الاسوار قلباً صخرياً فصاروا يزأرون مثل الاسود فوق الاسوار ، تربطهم جميعاً المحبة والوحدة ، وكان البعض يشجع البعض قائلين تشجعوا لئلا يغلبنا الطاغية . والذين بقوا في البيوت نزلوا تحت الارض أعني الى المنازل السفلى يولولون ويطلبون الى الله كيلا يسلمهم في أيدي الكفرة . وحدث خوف عظيم وضيق في المدينة كلها ، خاصة بسبب القنابل التي كانت تأتي من كل جنب وتقع في المدينة ، وبعضها كان يقع على السطوح فتدمر منزلاً أو منزلين أو ثلاث . ولم يكن أحد يستطيع الخروج خارجاً ما سوى المحافظين على الاسوار والمتارس .

« ان طهماس هذا الطاغية أمر العساكر فحولوا نهر دجلة كيلا يجري بالقرب من المدينة . فوقعت المدينة في ضيق وشدة بسبب المياه . وصاروا يشربون الماء من الآبار الملحة والمرة . وهذا أيضاً آلم مدينة الموصل . وأرسل جنوده الى الجبال والسهول لجلب الذخيرة لهم فلم يتركوا شيئاً لا في الجبال ولا في السهول . . . إلا ان سكان الموصل لم يستسلموا لهم بالرغم من محاربتهم لهم . فلجأ هذا الطاغية الى شتى الحيل حفر ألغاماً

تحت الارض لاحراق السور ملأها بالبارود ووضع سلالم كثيرة لتسلق السور ، ومنهم من جاء بالتبن ليملأ الخنادق وأتقنوا عملهم . فاجتمعت العساكر كلها في تلك الليلة حوالي الالغام ، غير ان الالغام رجعت عليهم فمنهم اختنق بالدخان ومنهم من ابتلعته الارض . فلما رأى الملك طهماس ما جرى اغتم ، بينما تشجع الموصليون على الاسوار وأخذوا يرمون (الفرس) بالقنابل وقتلوا منهم رجالاً بلا عدد . فارتعب الملك طهماس لما رأى من عجائب الله وآيات قديسيه وأرسل رسلاً لطلب الصلح . فجاؤوا عند ملك الموصل وقدموا له الهدايا كما وان حسين باشا بدوره أرسل ابن عمه الى طهماس بهدايا وتم الصلح بينهما . فقام وغادر جوار الموصل وعاد قافلاً . . .

« وان حسين باشا المذكور أوفد ابنه الى ملك بوزنطيا (القسطنطينية) العظيم ليبشره بالنصر الذي وهبه الله أياه على ملك الفرس . فذهب ووصل عند الملك وبشره ... فسر الملك ورحب به واجزل عليه العطايا وزوده بفرمان لتعمير الكنائس في ولاية الموصل كلها . . .

« رجع ابن حسين باشا وجاء الى أبيه وقص عليه عن اكرام ملك بوزنطيا له وعن الهدايا وفرمان تعمير كنائس المسيحيين . فأجاز حسين باشا بناء الكنائس القديمة والاخرى التي كان الفرس قد أحرقوها . فبنى الموصليون ثماني كنائس » (٥١) .

وقد سجل الرحالة نيبور الذي زار العراق سنة ١٧٦٦ عن غزو طهماسب للموصل ما يلي :

« وفي سنة ١١٥٦ للهجرة (١٧٤٣ م) ضرب نادرشاه مدينة الموصل بالقنابل مدة واحد وأربعين يوماً وقد كاد يستولي على المدينة لو لم يرده خبر نشوب ثورة في ايران

---

(٥١) الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا ، ص ٩٤-٩٩ .

فاضطر الى التخلي عن حصار الموصل .

« ويتبين من وصف التاريخ حياة هذا البطل الفارسي ان اعداءه كانوا يرهبونه في ساحات القتال ولكنه كان لا يعرف شيئاً من فنون حصار القلاع، اضافة الى ان الفرس كانوا لا يحسنون فن المدفعية . ولقد هاجم نادرشاه المدينة من الجهة الشمالية الغربية عند باب العمادي حيث كان من أشد جهات سور المدينة حصانة كما كانت هذه الجهة خالية من السكان تقريباً . وضرب من هـــذا المكان مقر الباشا بالقنابل وكان قد أقامه تحت الانقاض . ولم تكن لدى حسين باشا الجليلي والد والي الموصل الحالي الاستعدادات الكافية للقتال والمؤن والذخائر الحربية اللازمة ، ولذا فلم يكن باستطاعته ضرب المهاجمين بالقنابل واحداث ثغرة واضرار كبيرة بين صفوفهم ولذلك فقد ترك مقر قيادته وذهب الى قصره وترك العدو يلقي القنابل قدر ما يريد على مقر القيادة الخالي .

« ويؤكد الموصليون ان نادرشاه ألقى على المدينة أربعين ألف قنبلة . وليست ثمة مغالاة في هذا الصدد فان المدينة قصفت قصفاً شديداً ولكن لم تحدث تخريبات كبيرة لان بيوتها مقببة ومبنية بالجص والحجر . وأكثر القنابل انفجرت في الهواء أو سقطت بين البيوت بدون ان تنفجر وكان الموصليون يجمعونها ويستعملونها مرة اخرى ضد العدو المحاصر . واستعمل نادرشاه في هدم أسوار المدينة المحصنة الالغام ولكنها كانت تؤذي قواته أكثر من أن تؤذي الموصليين . وكانت مدفعيته تمتاز بالقوة واحكام الاصابات بعض الشيء ، فقد اصابت السور وخربت واجهة كبيرة منه ولكن المدافعين كانوا دائماً على استعداد لسد الثغرات التي كانت تحدثها مدفعية العدو في السور، فكانوا يبنون في الحال حائطاً ضخماً خلف الثغرة مباشرة ويوصلونها بالسور وقد كان النصارى يسهمون في هــذه العملية مساهمة كبيرة بحيث ان المسلمين يعترفون للنصارى بالفضل لثبات المدينة بوجه

العدو كما اظهروا في مواقف مختلفة شـجاعة فائقة . ويفاخر المسلمون ببعض مواقف البطولة التي أظهرها عـدد من الموصليين ولا سـيما في الليلة التي سـرقوا مقر قيادة الفرس » (٥٢) .

وقد جمع ياسين بن خير الله الخطيب العمرى في كتابه « منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء » عدة مصادر عن « حصار نادرشاه للموصل » ، نذكر منها ما لم يرد في غيرها من المصادر .

فقد جاء في « منهل الاولياء » لمحمد أمين بن خير الله الخطيب ، انه كان مـع طهماسب ثلثمائة ألف مقاتل ، من غير الاسرى واتباع العساكر ، فأقام حول المدينة إثني عشر برجاً ونصب عليها المدافـع ، فتوالى الضرب من الطرفين ثمانية أيام ولياليهـا ، فتهدمت دور كثيرة وهلكت أنفس عديـدة وكادت المدينة تستسلم ، لا سيما بعد تصدع قسم من الاسوار ، لولا همة الوالي الشجاع . ووقى الله أهالي الموصل شـر الاعـداء لدى محاولتهم فتح ثغرات في الاسوار بواسطة الالغام ، اذ ان النيران رجعت على الكفار وقتل منهم الكثيرين ، فبطلت المحاربة في اليوم التالي ، وارسـل طهماسب رسـولاً يطلب إرسال سفيرين للمكالمة ، فرفض الموصليون ، ونقل الرسـول الى رئيسه أخبار المدينة ، فاذا هي سليمة وصامدة ، فوجه طهماسب كتاباً لطيفاً اعاد فيه الطلب ، فأرسل الموصليون قاضيهم ومفتي الشافعية وأحد أكابر البلد ، فتم الصلح ورحل نادرشـاه الى بلاد العجم والهند . فبعث الوالي ابنه محمد أمين باشـا الى الدولة العلية لزف البشرى ، فخلع عليه السلطان محمود خان سيفاً مجوهراً وخلعة سنية (٥٣) .

---

(٥٢) رحلة نيبور الى العراق ، ص ١١٥-١١٦ .

(٥٣) انظر : منية الأدباء في تاريخ الموصل الحـدباء ، لياسين بن خير الله الخطيب العمري ، تحقيق سعيد الديوهجي ، الموصل ١٩٥٥ ، ص ٢٢٣-٢٣٧ .

ويعلمنا الدكتور داود الجلبي في كتابه « زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية » بان عسكر الموصل بقيادة مراد باشا بن الحاج حسين باشا وعمه فتاح ، التقوا مع سرية طهماسب التي كان قد سيرها أمامه خارج اسوار المدينة ، فانكسروا واسر بعضهم ، فعادوا الى الموصل وتحصنوا فيها وكان قد وصل الى المدينة والي حلب أيضاً حسين باشا التمازوقجي ، وعين محافظاً لها ليساعد الوالي ، غير انه كان مع طهماسب مائتا ألف من

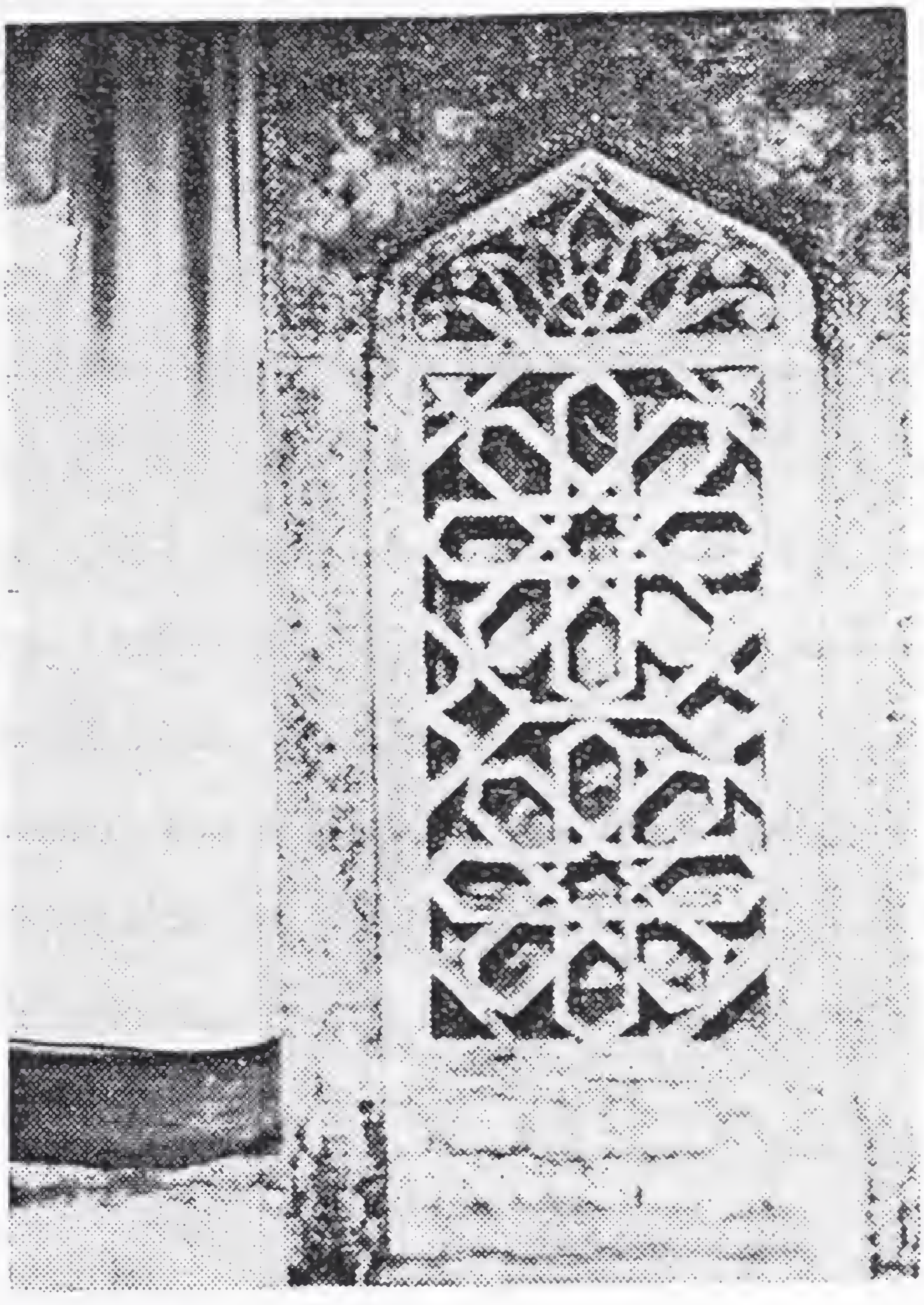

صورة للعارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل

الجنود أو أكثر، فنهبوا ما في حضرة نبي الله يونس، الا ان الوالي والمحافظ والاهالي دافعوا دفاع البواسل. وكان ان رد الله كيد الاعداء الى نحرهم، اذ رد لغمهم عليهم الذي نصبوه من ناحية الشيخ قضيب البان، فطلب طهماسب الصلح وتم بواسطة ابن عم الحاج قاسم أغا الجليلي وعلي أفندي الغلامي مفتي الشافعية رسولي الموصل. فعقد الصلح وارتحل طهماسب قولي مدحوراً وتوجه الى بغداد (٥٤).

ويكتب ياسين بن خيرالله الخطيب العمري في « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » بأن طهماسب قدم الى الموصل يوم الاربعاء الحادي والعشرين من رجب وحاصرها، وابتدأ بضرب المدافع والقنبرات في السادس من شعبان، ثم ضرب اللغم ليلة النصف من شعبان، ورد الله لغمهم عليهم فقتل أربعة آلاف، فطلب المصالحة، فأرسلوا له ست عشرة فرسا من الخيل، ورحل عن المدينة في الرابع من رمضان (٥٥).

ولياسين العمري أيضاً في « الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون » ان طهماسب عمل له جسراً من جهة قرية يارمجة، وحفر ثلاثة الغام، اثنان ناحية باب سنجار والثالث قريباً من قضيب البان، فأطفأ اثنان، اما الثالث فقد قتل أربعة آلاف من الاعجام (٥٦).

وثمة ارجوزة للسيد فتح الله القادري فيها وصف للحادثة يذكر فيها إنه كان مع طهماسب ٤٥ ألف قنبلة و ٥٠ ألف حجرة و ٢٠٠ ألف من المدافع، غير ان أرواح الانبياء كانت تحامي عن المدينة فأضطر الغازي عقد الصلح ورحل عن المدينة. ويذكر ياسين العمري أكثر من ارجوزة اخرى لخليل البصير وعبد الله الفخري وعبد الله السويدي

---

(٥٤) منية الأدباء، ص ٢٣٨-٢٤٠.

(٥٥) المصدر عينه، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥٦) المصدر عينه، ص ٢٤١.

وباللغة التركية ليونس الموصلي (٥٧) .

أما في سالنامة ولاية الموصل سـنة ١٣٢٥ هجرية ، فيرد عدد جنود طهماسب ثلثمائة ألف مقاتل عـدا الاتباع والامراء ، قتل منهم في يوم واحد ٤٥٠٠ جندياً . وثمة التقرير الذي رفعه بالخط الهمايوني حسين باشا القازوقجي محافظ مدينة الموصل والحاج حسين باشا الجليلي الى السلطان محمود الثاني .

جاء في التقرير المذكور ان نادر شاه لما قرب من الموصل أرسل حسن أفندي الكركوكي وقاضي كركوك مـع شخصين آخرين ، فنصبت خيمة على شاطىء دجلة لاستقبال الرسل الذين ابرزوا كتاب الشاه الموجه الى مفتي الموصل وعلمائها ، فاعترض الوزير والوالي على عـدم توجيه الكتاب اليهما هما المسؤولان عن المدينة ، وعلى التهديد والانذارات ، وكان الجواب بأن الاهالي كلهم مستعدون للحرب . فورد بعد أيام رسول آخر اسمه محمود من سكان أربيل ومعه رسالتان من علي اكبر ملا باشي ، احداهما الى الوزير والاخرى الى المحافظ ، يقول فيها بان الشاه رحوم فيما اذا اطيع ، والا فسيسفك الدما ، فرد عليه الموصليون بانهم خـدام الدولة العثمانية . فظهر يوم الخميس الموافق الثالث من رجب نحو عشرة آلاف من طليعة الشاه ، فقابلهم نحو سبعمائة أو ثمانمائة من عساكرنا ، واشتبكوا في قتال عنيف ، ما لبث ان تراجـع بعده جنودنا وتمكن العدو من أسـر بعضهم . وبعد عشرة أيام ظهر الشاه بعساكره التي تجاوزت الثلاثمائة ألف وخيم في يارمجة ، فطاف بعد ان استراح حول المدينة وعين أماكن المتاريس وأنشأ اثني عشر طابية كالبروج ، واطلق المدافع . وفي ليلة الثامن من شعبان صارت المدافع تطلق قنابلها من اثني عشر جانباً ودامت الحالة المهولة هذه ثلاثة أيام وثلاث ليالي ، ثم نصب

---

(٥٧) المصدر عينه ، ص ٢٤٢-٢٧٣ .

العدو مدافعه قبالة باب سنجار وباشطابية وضرب المدينة خمسة أيام ، لكن الموصليين كانوا قد هيئوا أكياساً مملوءة تراباً ليسدوا بها الثلمات وكانوا يسارعون لبناية ما يتهدم من الاسوار . ثم أقام العدو الالغام ، غير ان لغمين عادا الى الوراء فاخترق كثيراً من حاملي السلالم ، وصد الاهالي البقية باســـم الله ، حتى انـه جرت مقابلة عنيفة بين الفريقين

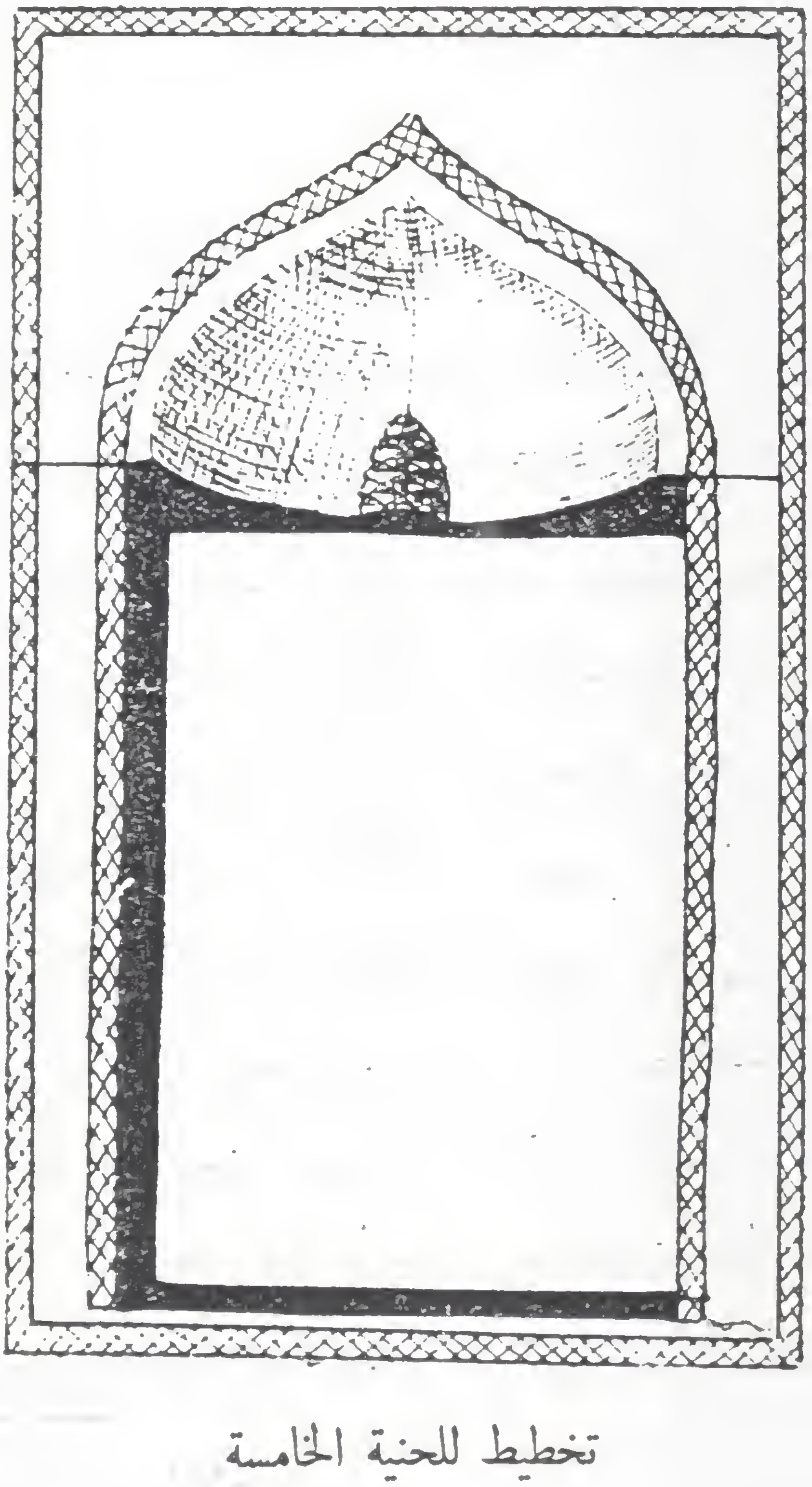

تخطيط للحنية الخامسة

المتحاربين أسفرت عن اندحار الاعداء بالرغم من كثرتهم بعد ان دام الاشتباك أكثر من سبع ساعات . واحصيت القنابل التي القيت على المدينة فكانت سبعين ألف قنبلة هذا عدا عن المرميات الاخرى ، وبلغ عدد القتلى من العدو خمسة آلاف وأربعمائة نفر من العساكر ذوي الرؤس الحمر ، وأما قتلى الموصليين فبلغ نيفاً ومائة نفر . وتم الصلح بتسليم الاسرى واهداء الخيول (٥٨) .

الخلاصة

كيف التوفيق بين التقليد والتاريخ ؟ هل علينا ان نقر بصحة نسب خلاص الموصل من غزو طهماسب الى تدخل الهي تحقق بشفاعة العذراء الطاهرة التي على اسمها تقوم كنيسة الطهرة ؟ ام هي همة المحافظ والوالي وشجاعة الاهالي أسباب النصر الوحيدة ؟

لا شك ان بسالة الموصليين هي التي خلصت مدينتهم من الدمار ووقتهم الشر الذي كان يبغيه طهماسب ، غير انه مما لا نكير بان ثقتهم بالله واتكالهم على العناية الربانية ورفعهم الادعية الحارة ، كانت هي أيضاً من الاسباب التي بعثت في أنفسهم الامل واولتهم قوة مما مكنهم من الظفر بالعدو . ولا يكاد يخلو مصدر تاريخي واحد من ذكر المعونة الالهية لاهالي الموصل في الذود عن مدينتهم وانفسهم . وليس من المستبعد ان يتشفع الاهالي بمريم العذراء لتستمد لهم النصر من الله ، لا سيما عندما كانوا يدافعون عن النفس في منطقة باشطابية ، حيث تقوم كنيسة العذراء القديسة ، لما لهذه كنيسة الطهرة من أهمية دينية بالغة ، فمريمانا يحبها الجميع من مسيحيين ومسلمين ، وكنيستها هذه مزار يقصده الجميع في احتياجاتهم ، فكيف لا يندبون العذراء إبان محنتهم القاسية هذه

---

(٥٨) المصدر عينه ، ص ٢٧٣-٢٩١ .

ويكثرون لها النذور ؟

لا تزال كنيسة الطهرة تحتفظ بذكريات حصار طهماسب للموصل ، ففيها أكثر من قنبلة ، عثر على بعضها خلال التجديد الاخير عام ١٩٦٨، كما ان تجديدها سنة ١٧٤٤ يدل على انه قد كان للعذراء شفيعة الكنيسة يد في تخليص الموصل من الدمار عام ١٧٤٣ وهو أمر لن يستغربه احد نظراً لكثرة الاعاجيب التي تستمدها مريم لقاصديها والنعم التي تغدقها على طالبي شفاعتها .

مريم العذراء ـ للفنان ميكيل آنجيلو

كنيسة الجميع

يقصد كنيسة الطهرة سنوياً آلاف الناس من كل حدب وصوب ، ومن جميع الأعمار والأجناس والملل والأديان ، للتبرك والتماس النعم الالهية بشفاعة العذراء الطاهرة مريم، حتى انه يستطاع اعتبارها المزار المريمي الأول ، ليس في الموصل فحسب، بل وفي العراق كله .

تمتاز هذه الكنيسة بصفة خاصة بها وحدها : انها كنيسة الجميع . إذ ليس للكلدان وحدهم حق الاعتزاز بها واللجوء اليها في احتياجاتهم الروحية والزمنية ، بل وللطوائف الكاثوليكية الاخرى أيضاً الحق عينه ، وللأرثوذكس كذلك ، بل وحتى لغير المسيحيين . فما أكثر المسلمين الذين يأتونها ضارعين مصلين . انها كنيسة ذات رسالة خاصة تتلخص في جمع المسيحيين، والناس كلهم ، لاسيما سكان مدينة الموصل ، وتوحيدهم للعيش معاً بأخوة ومحبة . وهي أمنية القديسة مريم ام المسيح ، التي يرفعها المسيحيون من كاثوليك وأرثوذكس الى أسمى الدرجات بصفتها ام المسيح الاله والانسان وام البشر ، فهي آية الشركة والوحدة بينهم . ويجلها المسلمون لأنها أشرف نساء العالمين ،

فيتماسون هم والنصارى في معتقد مشترك بوسعه ان يزيدهم تقارباً وتفاهماً .

ان كنيسة الطهرة قديمة جداً . وعديدون وشهيرون كذلك القديسون وأوليـاء الله الذين يعتز هـذا المعبد بالحفاظ على ذخائرهم الكريمة . ومريم العذراء ام رؤوم لا تخيب آمال بنيها ولا ترفض طلبات زائريها . بيتها مفتوح للجميع . ويا ما أكثر الأعاجيب التي قد أجراها الرب ولا يزال يجريها يومياً بواسطة العذراء صاحبة الكنيسة والمزار . وما السبب في عـــدم ذكر قسم منها إلا كثرتها التي لا تتيح مجالاً للاكتفاء بجزء ولو يسير جداً .

مريم هي رسول الوحدة ، وكنيستها قد ساعدت كثيراً على إنماء المحبة والوحدة في صفوف قاصديها العديدين ، فينطلقون هم ايضاً رسل وحدة وفاعلي خـــير ، بيتها المفتوح أمام الجميع هو احدى علامات الله الرامية الى توحيد جميع الناس ، وهي هذه المعجزة الاولى والكبرى التي يأتيها الله بشفاعة الام الطاهرة مريم .

قائمة اللوحات الفنية والصور

	صفحة
١ ـ تخطيط للحنية الثانية (صورة الغلاف الخارجي)	
٢ ـ تخطيط لنجمة زخرفية تزين مواضع عديدة في الكنيسة	١٠
٣ ـ تخطيط لباب بيت الشهداء او القديسين	١٤
٤ ـ صورة للبيم	١٩
٥ ـ تخطيط للحنية الاولى والثالثة	٢٣
٦ ـ تخطيط للعارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل	٢٤
٧ ـ صورة لباب الرجال الخارجي	٢٦
٨ ـ صورة لواجهة الهيكل	٣١
٩ ـ صورة لباب النساء الخارجي	٣٥
١٠ـ تخطيط للحنية الرابعة	٣٧
١١ـ تخطيط لوسط العارضة التي في الجهة اليسرى من الهيكل	٤٢
١٢ـ صورة لأعضاء لجنة الترميم سنة ١٩٦٨	٤٨
١٣ـ تخطيط للقسم الجانبي من العارضة التي في الجهة اليسرى من الهيكل	٥٢
١٤ـ تخطيط للقسم الجانبي من العارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل	٥٣
١٥ـ صور للعارضة التي في الجهة اليمنى من الهيكل	٦٠
١٦ـ تخطيط للحنية الخامسة	٦٣
١٧ـ مريم العذراء ـ للفنان ميكيل آنجيلو	٦٦
١٨ـ مخطط للكنيسة من الداخل	٧٢

لقد قام بالتخطيطات ، عدا الخارطة ، ماهر حربي هرمز .

فهرس

صفحة

توطئة	٣
التقليد والتاريخ	٤
الدير الأعلى في التــاريخ	
تأسيسه	٨
أهميته	١٠
مدرسته	١٢
موقعه	١٣
مساحته	١٥
اندثاره	١٧
قوانين مدرسته	١٨
أعياده	٢٠
كنيسة الطاهرة مريم	
لقبهـا	٢٥
قدميتهـا	٢٦
يصفها الرحالة والشعراء	٢٨
خطوة فخطوة ـ الفنـاء	٣١
واجهة الكنيسة	٣٣

داخل الكنيسة	٣٦
التجديدات	٤٣
ملحق- مريم وغزو طهماسب للموصل	
التقليد	٤٩
الشهادات التاريخية	٥٣
الخلاصة	٦٤
كنيسة الجميع	٦٧

بوشر بالطبع في ١٩٦٩/٦/١٠ وانتهي منه في ١٩٦٩/٧/١٠
المطبعةالعصرية / الرقم ١٩ / عدد الطبع ٢٠٠٠ / السنة٩٦٩

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Church History: Churches and Monasteries

Beth Mardutho Library